

اسم المادة: المذاهب الفكرية المعاصرة

من سلسلة: بود كاست شرفة

لفضيلة الشيخ: د. حمد بن عبد الرحمن السريح

إنتاج فريق التفريغ بشبكة الطريق إلى الله



اسـم المادة: المذاهب الفكرية المعاصرة
من سلسلة: بود كاست شرفة
لفضيلة الشيخ: د. حمد بن عبد الرحمن السريح
رابـط المادة: https://way2allah.com/khotab-item-225406.htm

السلام عليكم يا هلا وسهلا، معكم عمر محمد وأرحب بكم في البودكاست المعرفي "شرفة" أحد منتجات سماوة.
وشرفتنا اليوم شرفة فكرية بعنوان المذاهب الفكرية المعاصرة، ضيفي فيها الأستاذ حمد بن عبد الرحمن السريح أستاذ العقيدة والمذاهب العسكرية المعاصرة في جامعة الراجحي وبسم الله نبدأ.

المقدم: أبو عبد الرحمن يا مرحبا منور الشرفة.
د. حمد: الله يحييك أهلًا ومرحبا.
المقدم: يا هلا وسهلا، طيب قبل ما ندخل في المحاور اللي عندنا في المذاهب الفكرية، المخطط الزمني لبداية المذاهب الفكرية، يعني هل هي بدأت بالإغريق؟ عصور الظلام هل كانت فيها مذاهب غربية أو فقط كان تتسيد الكنيسة ثم بعد الثورة الصناعية بدأت المذاهب الفكرية وكذا؟ نأخذ المخطط الزمني.
د. حمد: نعم، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحابته ومن والاه، أما بعد؛
فحينما نتكلم عن المذاهب الفكرية المعاصرة فنحن إنما نتكلم على منتجٍ من منتجات ما يسمى بالحداثة، والحداثة هي منتج غربي جغرافي وزماني وفكري، فالحداثة تُطلق على ما يتعلق بالأفكار والفلسفات والمذاهب والآراء والتوجهات والفلسفات التي نشأت في أوروبا لا سيما في أوروبا الغربية، وذلك في أثناء ما يسمى بعصر النهضة ثم عصر التنوير أو عصر الأنوار، ثم بعد ذلك ما نشأ عنهما مما يسمى بالثورة الصناعية.
هذه الفترة في هذه البقعة الجغرافية، صاحبت كما تقدم مذاهب وأفكار وآراء وما أشبه هذا، هذه الآراء وهذه المذاهب وهذه الأفكار ترجع إلى ظروف بيئية جغرافية فكرية سياسية اقتصادية اجتماعية أفضت إلى إيجادها، ولذلك فإن الكلام على هذه المذاهب إنما يتعلق بالكلام على الظروف التي أنشأتها أفرزتها أفضت إليها أدت إليها، فأوروبا منذ سقوط روما على أيدي الجرمان أو الجرمان أو ما يسمون بالبرابرة سنة ٤٧٦ للميلاد.
أوروبا الغربية عاشت نحو عشرة قرون تقريبًا؛ من ثمانية إلى عشرة قرون تقريبًا في ركود فكري اقتصادي سياسي هذا العصر يسمى بالعصر الوسيط، هذا العصر الوسيط سماته أنه كان النظام السياسي الفكري الاجتماعي فيه كان نظامًا متكلسًا جامدًا، هذا النظام في شكله الديني

هيمنت فيه الكنيسة؛ الكنيسة الرومانية هيمنت فيه بمؤسساتها صارت مؤسسات دينية ما يسمى بطبقة الإكليروس، النظام الديني صار نظامًا متكلسًا، نظامًا استبداديًا، نظامًا إقطاعيًا.

كذلك هذا النظام هو يقوم على ما يسمى بنظام الإقطاع، النظام الاقتصادي الاجتماعي فيه هو نظام طبقي إقطاعي، النظام الإقطاعي من طبيعته أنه نظام طبقي، هو نظام اقتصادي اجتماعي.

المقدم: كيف شكل النظام الإقطاعي كان؟

د. حمد: النظام الإقطاعي هذا يقوم على وجود أقاليم متعددة في عامة أوروبا الغربية؛ على كل إقليم سادة نبلاء ثم داخل هذا الإقليم –داخل هذه الأرض– ما يسمى برقيق الأرض، هم ليسوا رقيقًا بالمعنى الحكمي وإنما هو رقيق بمعنى أنه لا خلاص له في أن يعيش عيشةً يُكفل له بها أدنى ما يقوم بها أوده، إلا يكون داخل هذه الأرض. فيقوم فيُعلن الولاء للسيد أو النبيل الذي يكون حاكمًا على هذه الأرض، ويخدم في هذه الأرض ويقوم عليها، ويؤدي ضرائب ومكوسًا إلى السيد في داخل النظام الإقطاعي هذا، ثم داخل الإقليم، هذا داخل النظام الإقطاعي، داخل هذا الإقطاع؛ النبيل له السلطة العسكرية، السلطة السياسية، السلطة التشريعية، السلطة التنفيذية يعني يستطيع إنه يشرع ما يشاء داخل هذا الإقليم، يستطيع إنه يعاقب رقيق الأرض بما شاء، يستطيع إنه يسن من القوانين داخل هذا الإقليم بما شاء، فكانت له صلاحيات مطلقة داخل بقعة هذا الإقليم.

ولم يكن فقط السادة هم الإقطاعيون، بل كانت الكنيسة كذلك لها إقطاعيات، وكذلك الملوك كان لهم إقطاعيات، فالنظام الأوروبي النظام الاقتصادي الاجتماعي كان نظامًا إقطاعيًا، كذلك في النظام السياسي كان فيه ملكيات، الملكيات هذه كانت بينها وبين الكنيسة صراع، تارةً تتغلب الكنيسة البابوية فتكون هي المهيمنة فتتحكم بالملوك إلى الحد الذي تبلغ به أن تَعزل بعضهم وأن تُعدم بعضهم وأن تَسجن بعضهم، وفي بعض الأحايين تنتصر الملكية على البابوية. فهذا هو النظام السياسي هو كذلك النظام الاقتصادي النظام الاجتماعي.

النظام الديني النظام الثقافي هو مرده إلى الكنيسة قطعًا لأن الدين كان مهيمنًا في ذلك الوقت، والكنيسة كانت يعني في عصور ظلامٍ دامس، يعني كانت مثلًا في الطبيعيات تعتمد الفلسفة الأرسطية لا سيما لما جاء توما الأكويني وأوجستين فهؤلاء هم الذين كانوا يتحكمون بالفكر الطبيعي.

الفكر اللاهوتي كذلك هو يقوم على مثل هؤلاء البابوات ما يسمون بـ Church Fathers، الذين هم الآباء والمؤسسون، أو آباء الكنيسة القدماء وهي عقائد منحرفة يعني مثل اللاهوت الذي يقوم على التثليث مثلًا، بعد ذلك لما طورت الكاثوليكية مثلا صكوك الغفران، ما يتعلق كذلك بما كانت عليه الكنيسة من منع الكتاب المقدس من أن يكون متداولًا بين العامة، النظام الكهنوتي الذي كان موجودًا بالكنيسة وهذا من أهم الأسباب التي أفضت إلى ما يسمى بالمذاهب الفكرية المعاصرة هذه.

النظام الكهنوتي معناه أن الكنيسة لها طبقات: بابا، شمامسة، بطرياركية، أساقفة، الطبقات الكهنوتية هذه ثم لكل طبقة أعمال خاصة، ثم أن هناك أسرارًا متبعة التي هي الأسرار المقدسة مثل العشاء الرباني والتعميد وعقيدة التثليث. وأن كل شيء لا يفهم هذا سر مقدس، هذا الكهنوت. وأن حق تفسير الكتاب المقدس للإكليروس فقط مناطٌ بالكنيسة فقط، وليس لأحد من الشعب، ليس لأحد من العامة من الناس أن يفسر الكتاب المقدس، أصلًا لم تكن العوام تعرف ما يسمى بقراءة الكتاب المقدس لأنه أصلًا لم يكن يترجم من اليونانية أو من اللاتينية، فكان هناك كهنوت في داخل النظام الكنسي الديني، يحوط الكنيسة والبابوية بهالة من الغموض بحيث أنها كانت تقود الناس كالقطعان وهذا لمدة تزيد على ثمانية قرون.

لك أن تتصور أن الأوروبيين كانوا يعيشون لمدة ثمانية قرون على مثل هذا الطقس، يعني أجيالٌ بل قرونٌ وقرون بين ذلك كثيرة، كانوا يعيشون تحت سلطة الاستبداد المطلق الديني السياسي الاقتصادي، فالواقع الأوروبي خلال ما يُسمى بالعصور المظلمة أو العصور الوسيطة، هذا أدى بعد ذلك إلى نشوء ما يسمى بالمذاهب الفكرية المعاصرة، ولذلك المذاهب الفكرية المعاصرة حينما نشأت إنما نشأت ابتداءً بما يسمى بالنزعة



الإنسانية، الرجوع مرة أخرى إلى الإرث الإغريقي الروماني التراجيديا المثولوجيا اليونانية أو ما يسمى بالأعمال الكلاسيكية، ولذلك تجد أنها أول ما بدأت في إيطاليا يعني قريب من الكنيسة قريب من البابوية لكن في عائلة تسمى عائلة الدوتشي والفوتشي هذه العائلة هي التي تبنت ما يسمى بالرجوع إلى النزعة الإنسانية ما يسمى بـ humanism يعني الرجوع إلى الفرد. ولذلك أحيت الآثار الإغريقية، لذلك وُجِدَ الشعر، الاهتمام بالجمال، الاهتمام بالمرأة، الاهتمام بالفن، بالمسرح، هذا الحراك وجد أول ما وجد في إيطاليا، ثم انتشر بعد هذا، يعني وجد مثلا مثل دانتي، انتقلت بعد ذلك إلى شكسبير، المرحلة الأولى من الرجوع إلى الحضارة الإغريقية الرومانية، لكن رجعت في الفن في الأدب في الإنسان الاهتمام بالجمال لأن الكنيسة ما كانت تهتم بالفن ما كانت تهتم بالجمال كانت تهتم بالعالم الآخر كما يقولون؛ الاهتمامات الميتافيزيقية النقاشات الفلسفية، لكن وُجِد مع هذه الحركة التي تسمى حركة النزعة الإنسانية اللي يقول عنها فوكو فيما بعد هذا يقول: "أكثر ما ضربت به البشرية هو العودة إلى النزعة الإنسانية" ميشيل فوكو.

فالنزعة الإنسانية هذه هي التي ردت المجتمع الأوروبي إلى الفردية إلى الإنسان؛ أن نرجع إلى الإنسان، إلى الجمال، الاهتمام بالحياة هذه، لكن هذا ما ظهر بمصادمة للدين ولكنه تجاوز الإرث الكنسي النصراني المسيحي؛ اليهودي النصراني، يتجاوز الكتاب المقدس رجع إلى الإغريق، رجع إلى الرومان، إلى المسرحية، إلى الإلياذة، إلى الأوديسا، إلى الشعراء الكبار عند اليونان، يعني رجع إلى الإرث الإغريقي، هذه النزعة الإنسانية شجعت على معاني التحرر، الاهتمام بالعالم المعاش، ألا تهتم بما بعد القبر تهتم بما قبل القبر، ولذلك شجعت مثل ما تقدم على النظر إلى الكون، التأمل في الجمال، في القصيدة، في النظم الإبداعي، مثل ما فعل هذا دانتي، فهذه أوائل التغيرات التي كانت في المجتمع الأوروبي، هذا تقريبا مع أواسط القرن الرابع عشر مع بداية عصر النهضة Renaissance، معناه النهضة يعني بالرجوع إلى ما كانت عليه أوروبا قبل سقوط روما؛ الواقع الروماني اللاتيني وكذلك اليوناني الإغريقي.

ثم بعد هذا وجد ما يسمى بحركة الإصلاح الديني كذلك؛ حركة لوثر حركة الإصلاح الديني هذه ما يسمونه هذه كذلك أحدثت ثورة هائلة في الوعي الأوروبي.

المقدم: في نفس القرن كانت؟

د. حمد: هي يعني بدأت حركة الإصلاح عام ١٥١٦ يعني مارتن لوثر حينما أعلن ما أعلنه من الثورة على الكنيسة، ولذلك يسمى البروتوستانت يعني الثائرون؛ ثاروا على الكنيسة، قال لا يوجد هناك ما يسمى بالأسرار المقدسة، الكتاب المقدس هذا يكون مشاعًا لكل أحد، ولهذا ترجمه إلى العامية الألمانية.

المقدم: هو كان بابا مارتن لوثر؟

د. حمد: لا لا لا أبدًا لم يكن، وإنما كان قسيسًا في واينبرج في ألمانيا.

المقدم: هذه المصطلحات فيه بابا وقسيس يعني هي مراتب هذه؟

د. حمد: نعم نعم هذي طبقات داخل الإكليروس يعني داخل الطبقة الكهنوتية. فهو أوجد ما يسمى ببذرة الإصلاح الديني هو وغيره لكنه هو الذي كان دهقانها وكان ربانها. ولذلك قال إن الأسرار السبعة هذه ملغية، وعلاقة المرء بربه مباشرة ما يحتاج إلى صكوك غفران ولا للاعتراف أمام القسيس، والكتاب المقدس يفسره كل أحد قادر على أن يفهمه، ولذلك ترجمه إلى عامة الناس، ولهذا فإن الكنيسة ما رضيت بهذا، ولذلك أصدرت صك العزل، ما يسمى صك العزل عام ١٥١٦.

المقدم: هذا غير صكوك الغفران؟

د. حمد: لا غير يعني أنه يُعزل من كونه قسيسًا، هو الآن ليس قسيسًا، يعني كان عالمًا هو الآن ليس عندنا عالمًا لأنه مهرطق؛ يعتبر مهرطق، فهم عزلوه وأخرجوه من الكنيسة لكنه ما قبل هذا، ولذلك لما جاءه الصك هذا أخذه وأحرقه، وكتب خمسًا وتسعين اعتراضًا في الوثيقة المعروفة المشهورة له، خمسًا وتسعين اعتراضًا في خمس وتسعين فقرة وعلقها على باب كنيسته في واينبرج.



فالمهم أن مارتن لوثر لا شك أنه أحدث ثورة هائلة في الوعي الديني الأوروبي لكن هو الذي مهد الطريق، هو الذي نحر النهر وافتض بكارة المعنى هذا.

ثم إن الناس بعده تقلدوا عنه مقالته لا سيما كالفين هذا كان في النرويج، وتقلد عنه مقالته هذه وزاد عليها، يعني مثلا كان مارتن لوثر يحرم الربا مثلا وكان مع النظام الإقطاعي، كان مارتن لوتر مع النظام الإقطاعي، أما كالفين فلا، فكالفين أباح الربا وكذلك فإن كالفين حارب نظام الإقطاعي ولذلك فإنه اصطف مع الطبقة الناشئة هذه في أوروبا مع الكشوفات والتوسع الجغرافي وجد عندنا طبقة تسمى البرجوازية وطبقة التجار طبقة الصناعيين، هذي الطبقة البرجوازية تعاضد معها كالفين، ولذلك فإنها دعمته كما أنه استفاد منها فإنها كذلك استفادت منه، يعني في التسويق الفكري له.

المهم أن هذا أوجد ما يسمى بالصراع الديني داخل أوروبا، فانقسمت الكنيسة، فبدل ما كان عندنا بابوية وأرثوذكسية صار عندنا بروتوستانت، والبروتوستانت هؤلاء استقلوا بكنيستهم، وصار كل ملك تقريبًا يكون رئيسًا للكنيسة التي تكون في بلده.

المهم أن الكنيسة خفت سلطتها بعد الثورة الدينية لا سيما في الغرب الأوروبي، لما زال نظام السياسي الديني بقيت الملكيات؛ فصارت الملكيات أكثر نفوذًا مما كانت عليه من ذي قبل، لما كانت الملكيات على هذه الصفة صارت الملكيات لها سلطة فحينئذ تحتاج أنها تجابه بأفكار تخفف وتطامن من غلواء هذه السلطة، فوُجِدَت حينئذ ما يسمى بأفكار الأنوار وجدت توماس هوبز، جون لوك مفكري الثورة الفرنسية في ذلك الوقت مثل: درودو، مثلًا مونتيسكيو، جان جاك روسو، فولتير.

المقدم: ميكافيلي؟

د. حمد: لا، ميكافيلي قبل هذا، ميكافيلي كان في إيطاليا ولم تكن أفكاره أفكارًا تحررية، لكن هذه الأفكار هي الأفكار التي انبنت على ما يسمى بالإصلاح الديني؛ أفكار الإصلاح الديني. يعني ميكافيلي كان عصريًا لبدايات التحولات في عصر النهضة لكن الأفكار التي أعقبت حركة الإصلاح الديني هذه إنما كانت تالية لهذا الإصلاح الذي يسمى بالإصلاح الديني، خلال هذه الفترة حركة النهضة التي عقبتها حركة الأنوار أنتجت ما يسمى بفلسفة للعلوم جديدة، وهي أنهم انقضوا على المنطق والفلسفة العلمية الصورية الأرسطية، وأوجدوا عوضًا عن ذلك خلال هذه الفترة ما يسمى بالفكر التجريبي، هذا المنطق هو منطق عملي ورأوا ثماره لا سيما مع فرانسيس بيكون مثلا لما أبطل المنطق الأرسطي. واللي قام به مثل أحمد بن عبد الحليم رحمه الله –ابن تيمية–، ومثل كذلك أبي بركات البغدادي، ومثل كذلك الأزهري، ومثل كذلك ما ذكره الحسن النوبختي، فإن هؤلاء قد تكلموا عن المنطق الأرسطي لكن إنما شُهِرَ عن ابن تيمية لشهرة ابن تيمية، وإلا فإن فيما يُسمى بالتراث الإسلامي النقد للمنطق الأرسطي قديم؛ متقدم على ابن تيمية، بل ابن تيمية –رحمه الله– يأخذ كثيرا عن مثل أبي الحسن النوبختي وعن أبي بركات البغدادي لا سيما في كتابه المعتبر في الحكمة. المهم أن فرانسيس بيكون وسيأتي بعده كتاب ديفيد هيوم وهؤلاء، هؤلاء انقضوا على المنطق الأرسطي، المنطق الصوري.

المقدم: ما هو المنطق الأرسطي؟

د. حمد: المنطق الأرسطي هو منطق اللي هو يعتمد القضية الكلية، القضية الكلية: أولًا القضية هي ما يصدق عليه الصدق والكذب، هي الجملة الخبرية التي يصدق عليها الصدق والكذب، القضية الكلية هي القضية الجامعة التي يصدق عليها الكذب التي تنتظم جزئياته، فالمنطق الأرسطي يقوم على هذه القضايا الكلية ثم ينتظمها في صورة تسمى صورة القياس، مقدمة كبرى، مقدمة صغرى ثم بعد ذلك نتيجة.

المقدم: لو تستحضر مثال.

د. حمد: كل إنسان فهو ميت، أحمد إنسان إذًا هو سيموت. هذه قضية صورية، القياس يعني حينئذٍ ما يفضي إلى إنتاج معلومات وإنما هو يفضي إلى تركيب صوري للمعلومة، لكن ما ينتج المعرفة. المنطق الصوري لا ينتج المعرفة.

المقدم: يفسر تقصد بس؟



د. حمد: لا لا، هو ينتظم المعرفة لكن لا يوجد المعرفة، يعني الآن المعرفة فكرية، فالمعرفة تصورية وتصديقية كما هو معروف، التصورية هو أن تدرك الماء معنى المفرد خاليا عن الحكم، هذا يكون في أي شيء؟ في المنطق الصوري، لكن التصديق يعني كونه كذلك أو ليس كذلك، يعني معنى التصديق يعني إثبات هذا الحكم لهذا المفرد، يعني حينما أقول لك: إنسان، تصورك لإنسان هذا الإدراك المعنى المفرد هذا يسمى تصورًا، إنسان صادق أو إنسان كاذب، كونه كذلك، يعني كونه صادقا أو كونه ليس كذلك هذا يسمى تصديقًا.

المنطق الصوري الأرسطي لا ينتج هذه المعرفة وهو الانتقال من المعلوم إلى أمر غير معلوم، هو لا ينتجها وإنما يهتم بصورة القياس ثم يعيد إنتاج المعرفة. فمن النقود عليه هو هذا؛ أنه منطق غير منتج.

إذًا ما المنطق الصحيح؟ الذي ينتج المعارف هو المنطق الحسي؛ نبتدئ من الحس، ولذلك فإنها مسألة إبيستومولوجية epistemology في فهم المعرفة، ما يسمى بنظرية المعرفة.

ابتداء المعارف ما هي؟ أن تعرف عبارة ابن تيمية –رحمه الله– الشهيرة؛ بل هو أخذها من عثمان بن سعيد الدارمي –رحمه الله– في كتابه النقض، أن ما لا يُحَس ولا يمكن أن يُحَس فليس بموجود. يعني ما لا يقبل أن يُحَس فإنه ليس بموجود. هذا المبدأ المعرفي لم يكن عند أرسطو، ولذلك فإنه يثبت كليات هو في الخارج.

المهم أن الأوروبيين لما نقضوا ما ذكره أرسطو من هذا المنطق استطاعوا أن يتخلصوا منه، لأن هذا المنطق كان معظمًا، المنطق الصوري هذا كان معظمًا بسبب أنهم كانوا يتبعون أوجستين وتوماس أكويناس، كانوا يعظمونه حتى جعلوا هذه الآراء الفلسفية في العقائد الدينية، فصار الذي يخرج عليها يكون مهرطقًا وكانت تحكم عليه الكنيسة بالهرطقة. استطاعوا مع الحركة العلمية لا سيما مع اتصالهم بالمسلمين عبر ما يُسمى بالحملات الصليبية، التجارة، استطاع الأوروبيون أن ينقضوا هذا المنطق لا سيما مع فرانسيس بيكون، ولهذا صنف كتابًا سماه الأورجانون الجديد، ليقابل به كتاب الأورجانون اللي هي مجموعة المؤلفات لأرسطو.

الأورجانون هذه كلمة إغريقية يقصد بها الأداة أو القانون، وهذا أُطلق على مجموعة مؤلفات أرسطو، فجاء فرانسيس بيكون لما نقض المنطق الصوري الأرسطي استعاض عنه بقول الأورجانون الجديد، يعني يريد أننا قد فرغنا من هذا الأورجانون وقد شرعنا في غيره.

المقصود أن هذا الفكر التجريبي بمعنى أننا ننطلق من الحس وأن ابتداء المعارف حسية هذا نقل أوروبا، هذه المعارف الحسية كان الواقع أن الكنيسة في البداية كانت تتبناها، وذلك من الخطأ الكبير أننا نقول –كما تجده عند بعض الإسلاميين مثلا– يقولون إننا نحن مجتمع لا نحتاج للعلمانية لأن العلمانية نشأت في مجتمع يعادي الدين فنحن ديننا لا يعادي العلم فلا نحتاج إلى العلمانية.

المقدم: هذي خطأ ليه؟

د. حمد: هذي ينقضها الواقع التاريخي.

المقدم: وجاليليو واللي حرقوه؟

د. حمد: لأن جاليليو وكوبرنيكوس وتايكو براهي وهؤلاء كانوا يصادمون الكنيسة في سلطتها، يعني مثاله الآن هل تستطيع إنك تقول عن الولايات المتحدة مثلا حينما تغتال عالمًا نوويًا أو عالما فزيائيًا متمكنًا في بلدان ما يسمى بالعالم الثالث أن أمريكا تعادي العلم؟

المقدم: لا ما نقول كذا، تخاف إنه أحد يستحوذ على العلم غيرها.

د. حمد: هو هذا الذي كان وقع؛ هذه هي الحالة الصحيحة، أن الكنيسة كانت تخشى من نزع سلطتها وقت ظهور ما يسمى باكتشافات العلمية، يعني كانت الكنيسة تقول شيئًا وهؤلاء يقولون شيئًا، أصلًا الكنيسة هي التي كانت تتبنى العلم، الكنيسة هي التي كانت تتبنى العلم، يعني نيوتن وهؤلاء الكبار **Giant** كما يسمونهم، هؤلاء العمالقة الذين نحروا العلم ابتدأوا العلم التجريبي في أوروبا كانوا متدينين، كانوا أصلًا متدينين، كان الحامل لهم على أن يكتشفوا وعلى أن يبحثوا وعلى أن ينظروا الحامل لهم كان الدين، وأن ينظروا في ملكوت السماوات والأرض، لكن الكنيسة الجامدة –الكنيسة التقليدية– كان لها سلطات هائلة، كانت إقطاعية مثل بقية الإقطاعيين كان عندها صكوك الغفران، كانت



تسيطر على الملوك، هذا التجديد ينزع صلاحياتها ويجعل من كثير من صلاحياتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية مقلصة؛ تُشَذَّب، فكانت تصادم أمثال هؤلاء العلماء لا لأنها تعارض العلم ولكن لأنها تعارض نزع البساط، فهذا مما ينبغي التنبيه عليه.

الغرض من هذا أن الفكر التجريبي هذا صار مع كثرة الكشوف والابتكارات كذلك، يعني كثرة الاختراعات وكثرة الاكتشافات، وجدوا أن هذا المنهج منهجًا نافعًا وحال الواقع الأوروبي، وسهل الواقع الأوروبي، هذا الاتجاه كذلك دعمته الطبقة البرجوازية الناشئة هذه، طبقة التجار طبقة الصناعيين، هذه كذلك شاركت في دعم حركة الفكر العلمي هذه؛ حركة الفكر التجريبي، الفكر التجريبي العلمي، اللي هو Science، لأن Science أصله منهج، كثير من الناس يظن العلم في المفهوم الغربي أن العلم هو المنتج العلمي، والواقع أن العلم في المفهوم الغربي في الفلسفة العلمية إنما هو المنهج، المنهج الذي ينتج هذه المعارف.

يعني المنهج العلمي عند الأوروبيين يقوم على الحس ابتداءً، يعني لابد أن تكون المعرفة مبتداها حسيًا وعليه فإن الظاهرة لابد أن تكون مرصودةً، فما لا يُرصد ولا يمكن رصده فإنه لا يكون داخلًا ضمن الاهتمام البحثي العلمي أصلًا، وإنما هذا يسمونه ميتافيزيقي، يعني ما وراء الطبيعة، يعني هذي مباحث ليست مجدية للواقع العلمي هذه ليست مجدية، وعليه فلابد أن نبتدأ من رصد الظاهرة، حتى إذا رصدناها فإننا نقدم ما يسمى بشرح مقترح لها، هذا الشرح المقترح هو الذي يسمى الفرضية. يعني أنا أقول سبب هذه الظاهرة كذا؛ أفضى إلى النتيجة كذا، تجمع السحب سببه كذا كذا كذا؛ وهو الذي أفضى إلى هذه النتيجة، هذا يسمى شرح المقترح.

نذهب نحن بكل ما أوتينا من جهد بناءً على المعلومات الموجودة الآن إلى أن نخطئ هذه الفرضية، وهو مبدأ يُسمى التخطية؛ فنحن نسعى إلى إبطال هذه الفرضية، حتى إذا صمدت كل محاولات التخطية فإننا حين إذًا نسميها نظرية. فتكون نظريةً.

فهذا المنهج وجده الغرب منتجًا، مثمرًا، ولذلك مجموع هذه الأمور أوجدت أفكارًا عند الغرب صارت مترسخةً، تارةً تكون صريحةً وتارة تكون حكميةً. فأوجد هناك أفكار عامة للغرب هي التي تُنتج بعد ذلك الفلسفات والمذاهب.

فالأفكار العامة التي كانت عند الغرب تقوم على أسس؛ أنا أجمع الأسس التي قام عليها فكر الغرب ما يسمى بعصر النهضة ثم بعد ذلك عصر الأنوار ثم بعد ذلك ما تلاهم مما يسمى بعصر الثورة الصناعية مجموع هذه الأمور يسمى الحداثة. نحن الآن نعيش مثل ما يقول كارل بوبر وهابرماس ما بعد الحداثة، عصر ما بعد الحداثة.

هذه المظاهر الثلاث: النهضة – الأنوار – الثورة الصناعية قوامها على أمرين اثنين:

– الأول ما يسمى بالفردية أو الفردانية، وهي مركزية الإنسان. مثل ما تقدم لنا أن الغرب رجع إلى الإرث الإغريقي الروماني، رجع إلى الإنسان فالمبتدأ هو الإنسان، ما يسمى بمبدأ anthropocentrism ومعناه مركزية الإنسان، فنحن نبتدأ من الإنسان، هذا له تأصيل فلسفي لكن المهم الفكرة، وله تأصيل فلسفي يعني يقولون الوجود لا شك أنه مستقل عنك، يعني مثل ما ابتدأ ديكارت مثلا.

المقدم: أنا أفكر إذًا أنا موجود.

د. حمد: نعم، لكن هو انتبه قال: أنا أفكر إذا أنا موجود، إذًا هو رجع إلى نفسه فجعل المبتدأ من نفسه، إذًا الوجود لا شك أنه مستقلٌ عن وجودي وعن معرفتي به. لكن لو لم أوجد؛ إدراك الوجود هل يمكن أن يتحقق بدوني؟ يعني لو لم يوجد الإنسان هل يمكن أن يوجد إدراك الوجود بدوني أنا؟

المقدم: لا لا يدرك وإن كان موجودًا.

د. حمد: فعاد الأمر إلي، ولهذا فإن مركزية الإنسان هذه لها مبدأ فلسفي لا شك، لكن المهم أن الفكرة هذه وهي مركزية الإنسان ينشأ عن هذا مثله مثل الإنسانية العرية ما أشبه ذلك.



– الأساس الثاني الذي قامت عليه الفلسفات والمذاهب والاتجاهات الغربية بجميع صنوفها: الوجودية، الاشتراكية، الرأسمالية، الليبرالية، العلمانية كله، هذه تقوم على أساس ما يسمى بالعقلانية؛ ليس العقل وإنما العقلاني، نحن أهل عقل لكن لسنا أهل عقلانية.

العقلانية معناها استقلال العقل في إدراك المنافع ودفع المضار من غير مؤثر خارجي، يعني أن العقل لا يحتاج إلى مجتمع لا يحتاج إلى دين إلى لاهوت، وإنما العقل الإنساني الفردي والعقل الإنساني الجمعي يستطيع أن يدرك منافعه وأن يدفع مضاره من غير حاجة إلى هذه المؤثرات؛ لا إلى دين، لا إلى سلطة مجتمعية سواء كان على مستوى فرد أم كان على مستوى الجماعة.

هذان الأساسان هما الركنان اللذان تقوم عليهما عامة المذاهب بل جميع المذاهب الفكرية المعاصرة. وإذا قلنا المعاصرة –كذلك ما ينبغي التنبيه عليه– عندنا مذاهب فكرية حديثة التي هي من منتجات الحداثة التي تقدم الكلام عليها، وعندنا منتجات فكرية معاصرة التي هي ما بعد الحرب العالمية الثانية، يعني أحسن تأريخ لها يكون مبادئ الحرب العالمية الثانية.

خلاصة الأمر –بارك الله فيك– أن نقول إن المذاهب المعاصرة هذه إنما نشأت على هذين الأساسين، يعني كل التحولات السياسية، الاقتصادية، حتى الثورات السياسية التي جاءت بعد ذلك، لأنه مع التطورات هذه وجد عندنا ما يسمى بالثورات؛ الثورات الكبيرة.

أولًا عندنا الحروب أنت لا تتصور أن الواقع الأوروبي الموجود هذا أنت تتصوره أنه جاء خبط عشو؛ كلا وحاشا، بل هو نتيجة صراعات ضخمة هائلة، والغرب كان كما يقولون ديناميكيًا، هذا هو الواقع أن بقية العالم ما كان فيه ذلك الحراك الفكري الذي استتبعه حراك سياسي اقتصادي اجتماعي كما كان في الغرب، هذا حق، يعني لا في أمريكا الجنوبية ولا فيما يسمى بالشرق ولا عند الصقالبة الذين هم الروس. الغرب كان ديناميكيًا كما يقولون، حتى أن نايل فرجسون –نايل فرجسون هذا هو أصله إسكوتلندي هو مؤرخ إسكوتلندي هو الآن في الولايات المتحدة– صنف كتابًا سماه Civilization الحضارة، The west and The rest الغرب والبقية، وإن قدرنا أنه قد أسهم حضاريًا لكن مدة خمسة قرون الماضية هذه يعني كما يقولون ما بالملعب إلا الغرب، ونحن نوافقه على هذا من وجه ونخالفه من وجه.

الخلاصة أن الناتج هذا اللي هو يعني مثلا ثورة عام ١٦٨٨ الثورة الإنجليزية وهي ثورة غير مسلحة التي انتصرت فيها البرجوازية على الملكية. البرجوازية هذه خلال هذه التحولات –لأن البرجوازية كانت ترعى هذه التحولات يعني هي منتفعة منه– البرجوازية هذه دعمت الملكيات ضد السادة والنبلاء وضد الكنيسة، لأنها كانت تريد أن تتخلص منهم، حتى إذا تخلصت من الإكليروس (السلطة الدينية) وسلطة الإقطاعيين (النبلاء السادة هؤلاء) ذهبت فضربت الملكيات بالشعوب؛ بالثورات دعمت الثورات، فهي تخلصت من الكنيسة والإقطاع بالملكيات ثم تخلصت من الملكيات أو قلصت صلاحياتها بالشعوب عبر الثورات، فوجد ما يسمى بالثورة الإنجليزية وهي ثورة غير مسلحة عام ١٦٨٨ . صحيح أن الملك أُعدم فيها لكن ما كان فيها سلاح وهذا بخلاف الثورة الفرنسية مثلا ١٧٨٩ هذه ثورة مسلحة، هذه غيرت وجه أوروبا، الثورة الأمريكية ١٧٧٥ تقريبًا، يعني حسب وثيقة الاستقلال، هذه كذلك ثورة مسلحة كانت ضد التاج البريطاني، هذا كله يقوم على هذين الأساسين.

كل المذاهب ماركسية اشتراكية وجودية هذه كلها تقوم على هذين الأساسين وهما؟ العقلانية والفردية؛ الفردية معناها مركزية الإنسان، هذا يمكن إنه يقال عنه يعني تلخيص للظرف الذي يُنشئ مثل هذه الأفكار.

هذا كله يُعبر عنه بما يسمى الآن بالحداثة عند جمهور المفكرين المعاصرين لأننا نقول نحن الآن نعيش مرحلة ما بعد الحداثة، يعني السرديات الكبرى هذه انتهت مثلا، وأن الحقائق صارت نسبية وما أشبه ذلك.

المقدم: عرفنا الآن السياق العام للمذاهب الغربية، ودي إذا تناولنا بعض المذاهب الغربية وعرفنا فكرة نشأتها –الأبرز يعني بينهم–، كم هي البارزة من هذه المذاهب؟



د. حمد: الغرب الآن يعرف نفسه، يعني المنتج النهائي الذي توصل إليه إذا قلنا بنهاية التاريخ مثل ما يقول فرانسيس فوكوياما، الغرب يعرف نفسه بأنه secular liberal democrat يعني الغرب يعرف نفسه بأنه علماني ليبرالي ديمقراطي، الهوية الحضارية للغرب أنه علماني ليبرالي ديمقراطي، فعليه إذا أردنا أن نتكلم على المذاهب فإننا نبتدئ بهذه المذاهب التي الغرب يعرف نفسه بها، وهي أنه علماني ليبرالي ديمقراطي، فحينئذٍ نتكلم على العلمانية أو العالمانية كما يقول بعض الباحثين والليبرالية والديمقراطية.

العلمانية الكلام فيها واسع جدًا يعني تحرير هذا المذهب وهو مثل ما تقدم ركناه الأساسيان اللذان يقوم عليهما هما: الفردانية والعقلانية. العالمانية يمكن أن يعبر عنها بأيسر تعريف لها، أنا عادة ما أحب التعريف، أحب المفهوم في هذه المذاهب، لا أريد مثل طريقة الفقهاء الطريقة التقليدية إنك تذهب إلى التعريف، ما هي الشفعة؟ استحقاق وانتزاع أحد الشريكين حصته بالثمن الذي وقع عليه العقد مثلا. ما هو السَلَم؟ وهو عقد على موصوف في الذمة مؤجل بثمن مقبول في مجلس العقد. كذا.

المقدم: لماذا لا ينفع هذا مع المذهب؟

د. حمد: هذه ليست مذاهب قانونية، هي نفس المذاهب هذه مرة أخرى هي تحتاج إلى التفعيل.

المقدم: زئبقية

د. حمد: زئبقية لأنها هي مفاهيم.

المقدم: لها أكثر من تطبيق.

د. حمد: أي نعم أحسنت، فلما كانت تطبيقاتها مختلفة، كيف نحكم على التطبيق هذا بأنه علماني وأن التطبيق هذا ليس بعلماني؟ فاحتاج حينئذ إلى تجسيد هذا المفهوم عبر ما يسمى بالتفعيل، ولذلك الآن علماء الإحصاء الاجتماعي وعلماء التحرير السياسي، السياسة الاجتماعية يعنون بالـ conceptualization يسمونه، ما يعنون بالـ definition هذا التعريف وهذا المفهوم، لما؟ لأن التعريف تخارج منه، مثلا إذا قلنا هو عقد على موصوف في الذمة، عقد على موصوف، فخرج بذلك غير الموصوف، في الذمة فخرج بذلك المعين، مؤجل فخرج بذلك الحال، بثمنٍ مقبول في مجلس العقد فخرجوا بذلك ما إذا كان الثمن مؤجلا. هذا أليق بالحد عند المناطق الحد الذي هو مقولٌ كلي بجواب قولك ما هو؟ عند المناطق، وإنما المفهوم هو الأليق بالتصور، يعني التصور الكلي.

المقدم: كيف نوصل للمفهوم؟

د. حمد: هذا المفهوم عند المفكرين المعاصرين يقول إما أن يكون إيجابيًا، يعني إما أن تريد أن تُثبت التصور وإما أن تريد أن تنفيه. وعليه فإنهم يقولون إن المفاهيم تنقسم إلى قسمين:

– مفاهيم إثباتية إيجابية.

– ومفاهيم نفيية سلبية.

وهذا بخلاف التعريف لأن التعريف لا يمكن إلا أن يكون إثباتيًا، لا يمكن أن تعرف الشيء بما ليس هو، وإنما تعرف الشيء بما هو. فالمفهوم يباين التعريف بأن المفهوم يمكن أن يكون نفييًا بخلاف التعريف، ويشتركان بكونهما إثباتيان، أنا أحب أن نتعامل مع المذاهب هذه على أنها مفاهيم تحتاج إلى تفعيل.

المقدم: فكرة التفعيل لو تشرحها.

د. حمد: التفعيل معناها أن المفاهيم يمكن تجسيدها يعني نجعل المفهوم محسوسًا، أي يخرج من الذهن من أن يكون كليًا في الذهن إلى أن يكون جزئيًا في الخارج، يعني أنا لو قلت لك مثلا هندسة لو لم يوجد المهندَس في الخارج لبقي هذا عندك في الذهن ذهنيًا كليًا، صح؟

المقدم: صحيح



د. حمد: طيب كيف تقول إن هذه هندسة؟ تذهب أن تريني مبنى بني على قواعد معينة فتقول هذه هندسة؛ ثم تقول هذه هندسة معمارية، هذه هندسة مدنية، هذه هندسة كهربائية. فالعلمانية الليبرالية الاشتراكية الوجودية الديموقراطية الرأسمالية.. كذا، هذه المفاهيم لابد أن تفعل، فإذا جئنا إلى مثل العالمانية مثلا فإننا نفعل هذا المفهوم، يعني يقولون هم باللغة الإنجليزية يقولون To operationalize يعني ذات concept يعني أن تُفَعِّل هذا المفهوم، فإذا أتينا مثل العالمانية، العالمانية هذا المفهوم جمهور المفكرين على أنه مفهوم نفي يسمونه negative term يعني أنه مفهوم نفي سلبي ليس إثباتيًا، العلمانية تقول لك هذا ليس علمانيًا، ولذلك فأحسن ما يمكن أن يعبر عن هذا المفهوم الذي هو مفهوم العلمانية أن العلمانية هي التي تعتني بهذا العالم، ولذلك تنسب إلى هذا العالم.

المقدم: يعني البرزخ والقيامة هذه ما هي داخلة فيه؟

د. حمد: هل هي تعاديه أو ما تعاديه هذه مسألة أخرى، لكن العالمانية بعض الناس يقول لا دينية هذا خطأ، ممكن يكون الإنسان عالمانيًا ودينيًا متدينًا، يكون في غاية التدين روحانيًا، لكنه يكون عالمانيًا.

العالمانية تقول كل ما لا يكون داخل هذا العالم فليس من نطاق الاهتمام، هذا من اللي يقوله؟ مثل ما يقوله مثلا هوليوك اللي هو منظر العلمانية المعاصرة، يعني أنت تعرف العبارة المشهورة أن النصرانية ترومت ولم يتنصر الرومان، يعني معناها أن الرومان عالمانيون لكن أدخلت الوثنية الرومانية على الديانة النصرانية ولكن النصرانية ما هذبت الرومان يعني ما ربطتهم بالدين بقوا على عالمانيتهم.

باختصار شديد هذا يعني هذا قطع لأشواطٍ كثيرة حتى قبل ما نتكلم عن الاستبداد المعرفي لها وأصل معنى saeculum هذه الكلمة هذه أصل من الكنيسة يعني saeculum معناها هذا العالم، ما يقابله العالم الروحاني. هذا العالم مليء بالبؤس بالشقاء ويقابله العالم الروحاني عالم الكنيسة عالم النجاة. كذلك ممتلكات الكنيسة؛ يعني من إطلاقات العالمانية يقال هذا secular أن الكنيسة تقول ما يتعلق بالتدبير المدني يعني غير الديني، يعني مثل ما تَقَدَم أن الكنيسة كانت تدير الإقطاعيات، هذه الإدارة كانوا يسمونها إدارة عالمانية، لأنها لا تهتم بالأمر الروحاني، إدارة الكنائس مثلا نفسها، إدارة الدعاة، إدارة القساوسة وكذا، هذه تسمى إدارة دينية، لكن العالماني هي الإدارة التي تتعلق بأمر الدنيا، يعني مثلا لو قدرنا مثلا عندنا وزارة الأوقاف إذا عُنِيت بالمواعظ والمحاضرات والدروس وما أشبه ذلك، هذه الآن دينية، لكن إذا كانت وزارة الأوقاف لها ممتلكات المباني وإدارة مثلا الجمعيات الخيرية وما أشبه ذلك هذا تدبير عالماني، كانت الكنيسة تفعل هذا، فإذًا عندنا إطلاق العالمانية منسوب إلى هذا العالم المراد به البؤس والشقاء يقابله العالم الروحاني، وعندنا الإدارة المدنية العالمانية والإدارة الدينية، لكن العالمانية الآن يعني مثل إلى ما أوجدها يعني هوليوك مثلا، الذي نظرها هي هذه أنها ما ليس من هذا العالم، ما ليس من هذا العالم فليس من نطاق الاهتمام، وعليه فالآن نحن نحتاج أن ندير أمر الدولة؛ هذا الاهتمام دنيوي آني متعلق بهذا العالم أو لا؟

المقدم: متعلق.

د. حمد: إذًا هو عالماني، إذا هو عالماني، يعني نديره نحن، لأن ما وراء العالم لا علاقة له بهذا الذي في العالم، هذا يقوم على فلسفات كثيرة، منها مثلا الطبيعانية، المادية، لكن نحن الذي يعنينا المنتج، وهو أن العالمانية تقول أنا لا علاقة لي بهذا العالم.

ثم العالمانية هذه أشكال وألوان، يعني يمكن تقسيم العلمانية إلى علمانية شاملة –مثل ما يقول المسيري مثلا– عالمانية شاملة وعالمانية جزئية، وقد أخذ هذا من غيره من المفكرين فيه عالمانية شاملة وعالمانية جزئية.

يمكن أن تقسم كذلك العالمانية يقال هناك عالمانية مثلا باعتبار موقفها من الدين؛ فيه عالمانية معادية للدين مثل العالمانية السوفيتية مثلا العالمانية الشيوعية، العالمانية الصينية عالمانية ماو. فيه عالمانية يسمونها عالمانية متصالحة مع الدين مثل العالمانية الإنجليزية العالمانية الأمريكية، ثم هذه كذلك يعني هناك فلسفة فيه عالمانية تريد حماية الدين من الدولة، وفيه عالمانية تريد حماية الدولة من الدين.

– يعني في الولايات المتحدة فلسفة العالمانية أن تحمي الدين من الدولة، تريد تقليص تدخل الدولة في الدين حمايةً للدين، لأن الدولة تُفسِد الدين حتى لا تتبنى مذهبًا معينًا، لأنهم كانوا في ذهنهم المذهب البروتستانتي الكاثوليكي، ولذلك ما في رئيس لكنيسة، لأنه كان في ذهنهم هم



رئيس الكنيسة الإنجيلية اللي هو التاج البريطاني، فهم كانوا لا يريدون هذا، يعني جيفرسون، هاملتون، جورج واشنطن، بن مثلًا في كتابه العقل السليم يريدون تنحية الدولة عن الدين حماية للدين من الدولة.

– لكن في بريطانيا مثلا العكس حتى تُحْمي الدولة من الدين، في فرنسا حتى تُحْمي الدولة من الدين.

– وهناك نوع ثالث من العالمانيات باعتبار موقفها من الدين أنها متحاصصة؛ تتحاصص مع الدين، يعني هناك مؤسسات تكون مؤسسات دينية –الدولة هكذا تقر أن مؤسسات دينية في الجمعيات الخيرية مؤسسات المجتمع المدني كما يسموها– مؤسسات المجتمع المدني أصلها وجدت لتقابل السلطة المركزية في الدولة الحديثة، فوجد ما يسمى بمؤسسات المجتمع المدني، فهناك مؤسسات يعني أن العالمانية تقول هذه المؤسسات مؤسسات دينية؛ العمل الخيري، التبرعات، الزواج، كذا. وهناك مؤسسات تكون مؤسسات تابعة للدولة مثل البرلمان، الاقتصاد، كذا.

إذًا العالمانية موقفها من الدين متباين؛ فيه معادية له وتريد إقصاءه وهذه حينئذ تكون شاملة، هذه تكون عالمانية شاملة وإذا كانت عالمانية شاملة فهي عالمانية معادية للدين، إذًا بالضرورة العالمانية المعادية للدين هذه تقول إن الدين –تريد العلمانية القضاء على الدين– لا علاقة له بالإنسان ولا بالكون ولا بالحياة. فيه عالمانية متصالحة معه، وفيه عالمانية متحاصصة.

وعليه فكل معادية فهي شاملة، كل معادية للدين فهي علمانية شاملة، لكن إذا كانت العلمانية عالمانية متحاصصة أو متصالحة فهي عالمانية جزئية.

والعلمانية –عند تحرير هذا المفهوم– تجد أن له مثل المبادئ؛ يعني أنه يقوم على مبادئ.

من أهم مبادئ العالمانية أنه يقوم على مبدأ يسمى المبدأ الاختزال reductionism؛ وهذا الكلام الفلسفي فيه طويل، لكن معنى الاختزالية أن العالمانية اختزلت الإنسان في وجوده الحالي الآني، فالعالمانية اختزالية وعتاة العالمانية يُقرون بها،we are reductionists يقولون نحن اختزاليين.

فالمقصود إذًا أن العالمانية اختزالية هي تقوم على هذا المبدأ، يعني أنها تنظر إلى وجود الإنسان على أنه وجودين "كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ" البقرة:٢٨.

المقدم: ما هو عكس مفهوم الاختزال –المناقض له–؟

د. حمد: العام، يقابل الاختزال التوسيع، يعني هذا حتى له علاقة بما يسمى بنظرية التأويل المعاصر، وهذه كذلك من المذاهب في قراءة النص مثل النظرية التفكيكية هي تقوم على الاختزالية، لكن الاختزالية هذه ليست فلسفة هي مبدأ.

فالمهم أن العالمانية تقوم على هذا؛ على مبدأ اختزال الوجود الإنساني في أنه "وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ" وانتهينا، أما "ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ" لا. "مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ" طه:٥٥، هم ينتهون إلى "وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ"، "وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ" هذه ليست نطاق البحث، هذه metaphysics هذا غيبيات ما ورائيات، وحينئذ فنحن لا نُعَنِّي أنفسنا في هذا، ولذلك فإنها تقوم على مبدأ الاختزالية، وهذا مهم جدا في فهم العالمانية، يعني إذا كان المناقش ممن يمكن مناقشته والأخذ والرد معه، فإن تحرير هذه المفاهيم يحرر كثيرًا من الصلاحات والتصورات، في السياسة في الاقتصاد في الاجتماع في الثقافة بل حتى في الدين والتدين؛ يعني مفهوم التدين، يعني فيه مفهوم للتدين يسمى مفهومًا اختزاليًا، يعني الآن مثلا تعريف الدين –وأنا لا أريد زيادة البسط هنا– لكن المهم إنه فيه مثلا مثل أبو البقاء الكفوي مثلا يعرف الدين تعريفًا اختزاليًا اللي هو التعريف المشهور عند المتكلمين، وهو أنهم يقولون هو وضعٌ إلهيٌ يسوق ذوي العقول باختيارهم إياه إلى الصلاح في الحال والفلاح في المآل، هذا تعريف اختزالي للدين، لأنه قال هو وضع إلهي، والواقع أن الدين ما يلزم أن يكون إلهيًا، بل إنه يكون إلهيًا ويكون غير إلهي.



المقدم: الدين مفهومه الدخول في الإسلام؟

د. حمد: الدين بما دل عليه الشرع، الدين ما دل عليه مجموع النصوص؛ أركان الدين أربعة: خاضع، مخضوع له، ومخضوع به، يترتب عليه جزاء؛ إما ثواب وإما عقاب. هذا المفهوم للدين يشترك فيه ما إذا كان إلهيًا وما إذا لم يكن إلهيًا.

كذلك هو يقول هو وضعٌ إلهيٌ يسوق ذوي العقول باختيارهم إياه إلى الصلاح في الحال والفلاح في المال، هذا للدين الحق، يعني قد يكون الدين إلهيًا لكنه يكون دينًا باطلًا محرفًا، فالمهم أن المبدأ الاختزالي هذا؛ مبدأ قد يؤثر في فهمك للسياسة، للاقتصاد، للدين، للتعليم، للثقافة، للاجتماع، بصنوفه الاجتماع السياسي الاجتماع الثقافي وكذا.

الغرض إذًا أن من أهم ما ينبغي أن تُلفت إليه العناية أن العالمانية هي مذهب يقوم على مبدأ الاختزال. ولها غير ذلك من المبادئ لكن يعني اغتنامًا وقت يكفي هذا. يكفي أن تعلم أن العالمانية هي تقوم على هذا المبدأ الاختزالي.

المقدم: الليبرالية

د. حمد: الليبرالية واسع كذلك جدًا الكلام عن الليبرالية، وما إدراك ما الليبرالية لأن الليبرالية شوهت، ولا يعني أنها حق لكننا نحن أهل إنصاف، الله –تعالى– يقول: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا ۚ وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا" النساء:١٣٥، يقول –تعالى–: "وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ.." المائدة:٨، والنبي –صلى الله عليه وسلم– في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو النبي –صلى الله عليه وسلم– يقول: "إن المقسطين عند اللهِ تعالى على منابرَ من نورٍ، على يمينِ الرحمنِ، الذين يعدلون في حكمِهم وأهلِيهم وما وُلُّوا"، فكثير ممن عندنا من الذين ينتسبون لليبرالية أو الذين يتبنون الليبرالية، هم في الحقيقة لقيط على أهل ليبرالية، ما هذه بالليبرالية؟

المقدم: يعني تقصد الليبرالية أحسن من كده أصلًا كمفهوم؟

د. حمد: أنا ما أقول هي أحسن ولا هي أسوأ، لكن هذا تشويه لها، يعني حينما نقول تشويه لها لا يعني أنها حسنة، يعني حينما مثلًا تقول أن كفار قريش كانوا لا يشركون في الألوهية مثلًا، هذا تشويهٌ لما كانوا يعتقدونه، هم كانوا يشركون في الإلهية، فقولك أنهم لم يكونوا مشركين في الإلهية وإنما كانوا يشركون في الربوبية مثلا؛ أنهم يزعمون أن مع الله إلهًا غيره، هذا تشويهٌ لمذهبهم، هم ما كانوا يعتقدون هذا، هم في الجملة يعتقدون أن الله تعالى هو الخالق الرازق المالك المدبر، يعني أنهم في الجملة يثبتون أفعال الله تعالى، وهي الخلق والملك والتدبير، لكنهم كانوا يشركون مع الله تعالى آلهةً أخرى، إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون، يقول –تعالى–: "أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا" ص:٥، فالمقصود إذًا أنه ليس قولنا إن من ينتسب إلى الليبرالية أو من يروج لليبرالية ويدعو إلى الليبرالية أن قولنا إنه يشوهها فهذا دليل على صحتها أو على حسنها، لكنه ما أنصفها، هي لا تدعو إلى هذا والحكم على الشيء –كما يقول المناطقة– فرع عن تصوره.

حينما نتكلم عن الليبرالية، هناك الليبرالية بمعنى الحرية، وفيه الليبرالية بمعنى الحرية المدنية كما يقولون، الكلام على الليبرالية بمعنى الحرية اللي هي فلسفة الحرية هذا أصلًا عتاة الليبرالية منظري الليبرالية هم جبرية لأنهم لا يثبتون للإنسان إرادةً حرة، مثل فولتير وسبينوزا ومونتسكيو وقبلهم توماس هوبز وجون لوك حتى، هؤلاء جميعًا هم في الواقع جبرية.

المقدم: ما المقصود بالجبرية؟

د. حمد: الجبرية يعني أن العبد لا إرادة له، هم طبعا يختلفون، هناك جبرية عندهم تسمى الجبرية الصلبة hard determinism وفيها الجبرية اللينة. الجبرية الصلبة معناها أن العبد لا إرادة له وإنما نحن مثل الآلات مسير، وفيه الجبرية اللي تسمى الجبرية اللينة soft determinism وهي أنهم يثبتون للعبد إرادة إلا أن مقدوره ومتعلق هذه الإرادة ناقص لأنه ما يقدر على كل شيء إما أنه هو طاقته لا تستطيع أو أن هذا المقدور أصلًا ليس متحصلًا، يعني ما يسمى في الأحكام العقلية ما يكون ممتنعًا، هذه تسمى جبرية لينة، لكن هذا المبحث الفلسفي لا يُعنى به الليبراليون.



المقدم: نود أن أفهم الربط بين الجبرية والليبرالية.

د. حمد: هذه تسمى حرية الإرادة، الليبراليون لا يُعنَون بها لأنهم جبرية، لكن هم يُعنَون بما يسمى بالحرية المدنية، يعني الليبرالية تقوم على الحرية المدنية، الحرية المدنية مثل ما يقول جون ستيوارت ميل مثلًا وهيوم وهؤلاء: أن العبد؛ أن الإنسان –طبعًا هم لا يريدون التعبير بالعبد– له حقوق يولد معها تسمى حقوقًا طبيعية لكن لو أن الناس تركوا بحقوقهم الطبيعية فإن العالم سيء والإنسان سيء شرير –مثل ما يقول توماس هوبز– فحينئذٍ لو تُرِك الناس لينالوا كل حقوقهم تعارضت حقوقهم فصار بعضهم يسطو على الآخر، فوضى وحينئذٍ فلا بد من وجود قوة تحميهم من بعظهم البعض يتنازلون فيهم عن حقوقهم الطبيعية، هذه القوة تعطيهم ما يسمى باالحق المدني، هذي تسمى الحرية المدنية.

المقدم: ما هي الحقوق الطبيعية؟

د. حمد: حق الحياة، هذا حق طبيعي، هل هو حق مقدس؟ مكتسب من الديانات؟ أو هو حق طبيعي لا يحتاج إلى برهنة لأنه مكتسبٌ من الطبيعة؟ يعني أن الحياة ثابتة بثبوت الوجود، بعد ذلك جاء جون لوك وأثبت حق الملكية الخاصة أو ما يسمى private property هذه تسمى حقوق طبيعية، هذه الحقوق الطبيعية الدولة تقوم من أجل حمايتها لكن كذلك الدولة لابد أن تعطي حريات؛ هذه الحريات التي تسمى الحريات المدنية، هذي الحريات التي تمنح من الكيان الثالث هذا، هذه تسمى الحرية المدنية، الليبرالية تنطلق من هذا، الليبرالية تنطلق من أن الإنسان لابد له أن يوجد، ثم إذا وجد الإنسان ينتظمه عقد يسمى العقد الاجتماعي مثل ما يقول توماس هوبز، جون لوك، روسو ينتظمهم عقد يتفقون فيه مع الدولة –مع الكيان الثالث هذا– بحيث أنه يحمي حقوقهم ويمنحهم كذلك حقوقًا مثل حق الحكم السياسي، حق المحاكمة القانونية، حرية الضمير كما يسمونها، حرية التجمع. هذه من أين تأتي؟ تمنحها الدولة.

ولذلك عندنا مفهومان أصلًا لهذا النوع من الحرية اللي هي الحرية المدنية، فيه مفهوم يسمى المفهوم السلبي لها، يعني أننا نقلص الدولة بقدر الإمكان؛ في السياسة، في الاقتصاد، في الاجتماع، أن بقدر الإمكان الدولة ما تتدخل بقدر الإمكان، يعني كل ما أمكن أن الدولة تدخل فيه أو لا تدخل فألا تدخل هذا هو المطلوب، هذا يغلب على الجانب الإنجليزي. في الجانب الإيجابي، يعني أن الدولة تتدخل لأجل حماية هذه الحقوق وتوسيعها، فالدولة تتدخل يعني مثلا هذا مثل النموذج الفرنسي، فمثلا التعليم المفهوم السلبي للحرية المدنية يقول إن التعليم قدر الإمكان ما تتولاه الدولة، وإنما يكون منوطًا بالقطاع الخاص، الناس هم الذين يعلمون ويتعلمون، المفهوم الإيجابي يقول لا، الدولة هي التي توفر التعليم، ولذلك تجد النقاش الآن في الولايات المتحدة، هذا موجود، يعني حصل الاتفاق على أن التعليم العام إلى الثانوية هذا حق، لكن ما بعد التعليم العام هذا يُسمى privilege امتياز ولابد أن تدفع له، هذا الآن عندهم نقاش، يعني بين الليبراليين وبين الجمهوريين، يعني بين الديمقراطيين وبين الجمهوريين، هذا موضع نزاع، التعليم العام، هل الدولة تتكفل به، فتأخذ ضرائب من الناس وتوفر التعليم العالي؟

المقدم: قسمة الفريقين أيهما مع كل رأي؟

د. حمد: الجمهوريون في جملتهم التعليم العالي يكون امتيازًا، وعليه فإن الدولة ما تتدخل فيه، إلا بقدر. وأما الديمقراطيون فإنهم يقولون لا، إنه حق، هذا بناء على هذا المفهوم للحرية هل المفهوم إيجابي أو المفهوم سلبي؟

وقس على هذا النقل، الصحة، يعني مثلًا في أمريكا الصحة تقوم على مبدأ أن الحرية لها مفهوم سلبي ولذلك الصحة في أمريكا أكثر نظام يُنفق عليه لكنه من أسوأ الأنظمة الصحية باعتبار الدول المتقدمة كما يسمونها، والسبب في هذا إنه قائم على مفهوم الحرية السلبية إن الدولة لا تتدخل في الصحة، ولذلك تجد أنه لابد من التأمين هناك، هناك ما عندك تأمين تضيع.

هذا الذي أقوله أنا أن الليبرالية تقوم على مفهوم الحرية المدنية، وإما أن تكون إيجابية وإما أن تكون سلبية.

كذلك الليبرالية تقوم على التلقائية في الفعل، الفعل التلقائي، مثل لما كانوا مثلًا في الاقتصاد يقولون دعه يعمل دعه يمر، يعني أن الناس إذا أبعدت عنهم العوائق فهم ينتجون في كل المجالات، في السياسة، في الاقتصاد، في الرياضة، في الصحة، في التعليم، في الثقافة، فدع الناس؛ تترك الناس لأن هناك تلقائية في الفعل، هذه التلقائية الناس يتنظمون حولها. فالليبرالية تقول بتلقائية الفعل، هذا كذلك يقوم على مبدأ آخر



هو مبدأ individualism مبدأ الفردانية، أنها تركز على الفرد ولذلك الليبرالية تركز على الفرد. هي تبتدئ من الفرد وتريد أن ترجع مرة أخرى إلى الفرد، يعني الرجوع من المبادئ إلى المطالب عند الليبراليين إنما هو ابتداءٌ من الفرد ورجوعٌ إلى الفرد، فالليبرالية كذلك تقوم عليه.

وعليه فالليبرالية هي تصور مفاهيمي يقوم على الحرية على الوجه الذي ذكرناه لك، وعلى تلقائية الفعل، وعلى الفردانية؛ تقوم على الفردانية يعني أن الفرد هو الذي يُبتدأ منه، وانتبه individualism غير الأساس الفكري السابق والذي هو استقلالية الإنسان أو مركزية الإنسان، فحينئذٍ إذا أردت تطبيقاته تقول بحكم نيابي تمثيلي، ولذلك تريد برلمان مثلا، أو أي طريقة يكون فيها التمثيل، يعني مثلا الليبرالية في الاقتصاد تقوم على مبدأ آلية السوق، مبدأ حرية العلاقة بين رأس المال وصاحب رأس المال والعامل وأن الدولة ما تتدخل، هذه الليبرالية الكلاسيكية؛ الرأسمالية الكلاسيكية كما يسمونها، دعه يعمل دعه يمر، الليبرالية مثلا في الاجتماع، أن العلاقات الاجتماعية الدولة ما تتدخل فيها وإنما تلبس ما شئت –مما يوافق القانون–، تتزوج من شئت، تتدين بما شئت، وهذا قام على مبدأ التسامح ولذلك جون لوك هو أول من صنف رسالة في التسامح. فهناك تسامح.

المقدم: يذكرون أنه كان عنده رقيق (جون لوك).

د. حمد: أي نعم، كلهم، هو الرقيق كان شائعًا، لأن مؤسسة الرقيق كانت مهمة جدًا في الاقتصاد، ولذلك الذين قضوا على الرقيق هي الطبقة البرجوازية؛ أكثر من دفع، ولذلك الغرب ما قضى على الرق، نعم يوجد من المفكرين من كان عنده مبدأ أنه يرى هذا لا أخلاقي، لكن الأصل أن الغرب إنما أراد أن يتخلص من الرق لاحتياج الرأسمالية إلى العمال، فكان في وثيقة حقوق الإنسان التي وقعت من الطبقة البرجوازية مع الملك مثلا مع الملك البريطاني هي مثلًا إزالة الجمارك، إزالة الجمارك يعني عن الداخل والخارج ما يريدون الدولة تأخذ ضرائب على الذي يستوردونه فهناك حرية اقتصادية يسمونها، حرية اجتماعية مثل ما تقدم تتزوج بمن شئت، تتدين بما شئت، هذه المثالية في الليبرالية؛ الحرية الثقافية تقرأ ما شئت، تدرس ما شئت، فهذا هذا هو معنى الليبرالية.

المقدم: أين موضع الاختلاف لما تقول عندنا ما هم ليبراليين؟

د. حمد: كان في السابق ما عنده إلا المرأة، ما في منتج، أنا لا أريد حتى منتجًا فلسفيًا ليبراليًا، أنا أريد حتى مشاركة فلسفية ليبرالية، أنا ما أذكر، يعني ماذا عندهم مثلا يعني مثل الحداثيين؟ مثل ناصر حامد أبو زيد مثلًا والا عند أراكون ولا عند الجابري، ما المنتج؟ والا مثلا فرج فودة، ما المنتج الفلسفي الذي يساهم في البناء هذا؟ تجد أنه يأخذ حواشي ما عند الغرب ثم يجتره ثم يخرجه ثم يريد أن يُصادم به الواقع. ولذلك أنا وصلت إلى مرحلة أذكر من المراحل إني أقول بعض الليبراليين عندنا لو أعطيته كاس خمرة وامرأة انتهى، هذا الذي يريده، هذا هو الذي يفهمه من الليبرالية، وهذا مثل ما تقدم تشويه لهذا المذهب.

هذا مذهب قائم له فلسفته وله جهابذته قامت عليه دول، مثل ما تقدم الغرب يعرف نفسه بأنه عالماني ليبرالي؛ قامت عليه دول. هذا ليس لجميعهم أنا ما أقول هذا لجميعهم لكن هذا هو النمط العام. هذا هو النمط المتكرر ولذلك أنا كنت مما أقترحه على بعض الطلبة عندنا؛ إنك لو درست أنماط الليبرالية الاجتماعية، أنماط الليبرالية السياسية، أنماط الليبرالية الاقتصادية في السعودية مثلا في مصر في العراق أو مثلا في العالم العربي، الأنماط معناها الحدث المتكرر بحيث إنك تدرس السمات وتخرج لنا بنظرية تشرح هذا النمط، لأنها ليبرالية مغايرة لليبرالية المعهودة عند فلاسفتها ودهاقنتها وما أشبه ذلك. ثم الديموقراطية.

المقدم: الديمقراطية لك كتاب فيها لو تشرحها لي وتشرح لي فكرة الكتاب.

د. حمد: الديموقراطية مثل ما تقدم مرة أخرى هي مفهوم. أصل الكلمة هذه كلمة يونانية معناها حكم الشعب أو حكم الناس. بعض الأحيان يقولون حكم العامة، أو حكم العوام حكم الطغام. فكرة الكتاب أننا تتبعنا هذا المفهوم، رصدنا هذا المفهوم من حين خروجه والتقسيمات السياسية الأولى عند أفلاطون وعندها أرسطو مثلا وهؤلاء من فلاسفة اليونان، ثم كنا في كل مرحلة نرصد فيها المفهوم نرصده باعتباره ظاهرة وفق هذا السياق؛ الاجتماعي، التاريخي، السياسي، يعني الذي نريد أن نخلص إليه أن المؤسسة توجد ثم إن المنظرين المفكرين الفلاسفة يسمون



هذه المؤسسات التي تخرج يسمونها ديمقراطية. يعني بمعنى أن المؤسسة التي يُصطلح على أنها ديمقراطية توجد قبل أن يطلق عليها ديمقراطية، يعني مثلا الانتخابات هل هي ديمقراطية أو لا؟ وجدت الانتخابات في أعتى البيئات الأوتوقراطية، يعني في أعتى البيئات الاستبدادية، فالانتخابات لا تدل على الديمقراطية.

متى يطلق على هذه المؤسسة أنها ديمقراطية؟ لابد أن توجد بتصورات معينة تلحقها بحيث تطلق عليها أنها ديمقراطية. هو مفهوم لاحق، وهكذا هذا الذي خلصنا إليه؛ أننا كل ما نتتبع الديموقراطية في تطورها المفاهيمي هذا نجد أن المؤسسات توجد ثم يطلق عليها أن هذه المؤسسات ديمقراطية.

ما هي القاعدة النظرية التي تنتظم هذه الإطلاقات؟

وجدنا أن القاعدة النظرية أن كل ما كان تمثيلًا للإرادة الجمعية بواسطة الأغلبية هذا يسمى ديمقراطية. فحينئذٍ إذا أردنا أن نقول ما هي الديموقراطية مفاهيميًا؟ فنقول هي الإرادة الشعبية المعبر عنها بقاعدة الأغلبية. فهذه هي الديموقراطية. يعني مثلًا لو قدرنا العاملين مثلًا تسعة أردتم اتخاذ قرار كيف نعرف إرادتكم؟ كيف نعبر عن إرادتكم هذه؟ بالأغلبية، هذا يسمى ديمقراطية، هذا هو مفهوم الديموقراطية.

فالديمقراطية هو التعبير عن الإرادة الشعبية بواسطة قاعدة الأكثرية، هذا هو خلاصة الفصل الأول.

الفصل الثاني نقض هذا الأصل، أن هذا الأصل باطل. يعني إذا أردنا إنشاء نظام سياسي يعبر عن الإرادة الشعبية بواسطة قاعدة الأغلبية هذا باطل بالمبرهنات العلمية، واستعملنا جملة من المبرهنات بعد التعريف بها وشرحها لإبطال هذه القاعدة، وحيث بطل الأساس النظري الذي تقوم عليه الديموقراطية دل على أننا نطرد سرابًا، فنحن نريد الشيء أن يكون كذلك، ككفار قريش حينما يعتقدون في العجوة أنها آلهة أو في هُبَل أنه إله وهو ليس كذلك، فكونك تتبعه وهو ليس كذلك هو لا ينفعك ولا يضرك لأن الواقع ليس كذلك، هذا يدل على أنك تتبع سرابًا، إذًا ما الخلاصة حينئذٍ؟ أن نبحث عن نظام آخر.

ونحن دعوانا بوصفنا مسلمين وكثير من الناس يخطئ فيقول: نحن كمسلمين، كذا، وهذا خطأ شائع، حتى أحمد شاكر يقول هذه الكاف يسميها الكاف الاستعمارية، يقول وددت لو أني طفت على كل الكتب لأحذفها، "نحن ك" وهذه مأخوذة من الاستعمار لأنها مأخوذة من اللغة الإنجليزية we as such and such.

فإما أن تُعرِب ما بعدها حالًا، نحن مسلمين أو أن تعربها على جهة الاختصاص، المهم فنحن بوصفنا مسلمين، نحن المسلمين نقول إن عندنا نظامًا سياسيًا، نزعم هذا ونعتقده أن عندنا نظامًا سياسيًا أولى من هذا، أولى من هذا النظام وأحسن منه وأجدى منه، لكن ما الذي يحصل لكثير من الإسلاميين مثلا أو حتى من غير الإسلاميين؟ أنه يعيش في بيئة معينة في بيئة استبداد وطغيان وانتهاك للحقوق وذهاب للحريات وينظر في مقابل هذا إما حقا وإما باطلًا إلى نظام يُزْعم أنه تُحفظ فيه الحقوق وتُراعى فيه حريات ويرى التداول السلمي للسلطة ومظاهرات كل يوم ما يحصل فيه فتن ولا ما أشبه هذا، ثم يُقال له هذا نظام إسلامي وهذا نظام كفري، فيقول إذا كان هذا النظام الإسلامي وهذا النظام الكفري فيقول حينئذ أنا أريد أذهب مع هذا النظام الديمقراطي الذي يقال عنه نظام ديمقراطي نظام ليبرالي وما أشبه ذلك. لكن لو أنه قُدِم له النظام الإسلامي الحق وعَلِمَه وبُيِّن ما فيه من المصالح ومن المحاسن لما قال هذا الذي قاله.

فإذًا هذا هو الملخص للديمقراطية، وطبعا نحن استعملنا مرة أخرى تفعيل هذا المفهوم، يعني الديموقراطية هذه عبر قاعدة تمثيل الإرادة الشعبية بواسطة قاعدة الأغلبية، نحن ذهبنا وفعلنا هذا المفهوم واستعملنا فيه مقياس دال، لأن هناك نوعين من القياس: إما ديمقراطي وإما غير ديمقراطي يعني إما ديمقراطي وإما ديكتاتوري كما يسمونه، وفيه طريقة أخرى تقول لا، كل الأنظمة فيها سمات الديموقراطية وفيها سمات الديكتاتورية، لكنها تكون أكثر ديمقراطية أو أكثر ديكتاتورية هذا مقياس دال، ودال من أحسن المنظرين والمقعدين لدراسة الديموقراطية، هو مفكر وفيلسوف سياسي أمريكي يُدَرِّس في جامعة يل، توفي، فاستعملنا مقياسه هذا لأنه تقريبًا متفق عليه بين عامة المهتمين بالنظرية السياسية.



فإذًا هذه هي المذاهب التي يُعرف الغرب بها نفسه، الغرب الآن يُعرف نفسه بأنه علماني ليبرالي ديمقراطي، يعني يمكن أن تقول إن المظلة هي العالمانية، والفرد يُحكم بالليبرالية والمجتمع يُحكم بالديمقراطية.

المقدم: الاشتراكية ما تحسب أنها في فترة من الفترات نهضت في بعض من أجزاء أوروبا؟

د. حمد: الاشتراكية يمكن أن يكون عندك ليبرالية اشتراكية، ويمكن أن يكون عندك ليبرالية رأسمالية، ولذلك الغرب ما قال أنا ليبرالي رأسمالي أو أنا ليبرالي اشتراكي، وحتى فرانسيس فوكوياما في The end of history، هو كان يقول بأن النموذج الغربي الرأسمالي انتصر على النموذج الشيوعي، والواقع أنه تراجع عن هذا، لا سيما بعد النجاحات التي حققتها الدول الإسكندنافية، وهي دول اشتراكية ليبرالية عالمانية ديمقراطية، يعني النجاحات بالمعايير الغربية.

المقدم: الاشتراكية هذه مناقضة للرأسمالية؟

د. حمد: نعم، هي مناقضة للرأسمالية في الجملة.

المقدم: والشيوعية؟

الشيوعية أيديولوجية هي مذهب سياسي.

المقدم: مناقضة لماذا؟ ما هو الطرف الثاني لها؟

د. حمد: الليبرالية، ولذلك كان الغرب يسمي نفسه العالم الحر في مقابل العالم الشمولي العالم السوفيتي، الشيوعية نشأت في الغرب، الغرب هو أبو هذه المذاهب وهو من افتض بكارتها، الغرب هو المنتج لهذه المذاهب الذي أنتجها هو ماركس، وماركس في الغرب، هؤلاء هم الذين أنتجوا ما سمي بعد ذلك بالماركسية، مع أنهم يقولون إنه قد قيل لماركس هل أنت ماركسي؟ فأنقض برأسه وقال لا، يعني هو الذي ثار ثورته ضد الرأسمالية لكنه استعمل فلسفة أوروبية، ولذلك هو هيجيلي استعمل هيجل، لكن الاشتراكية هي نظام اقتصادي، يعني في الاقتصاد عندنا مذاهب وعندنا أنظمة وعندنا سياسات، فالاشتراكية هي نظام اقتصادي تقابل الرأسمالية.

ومعنى الاشتراكية -التعريب التقليدي لها- هو أن الدولة تمتلك وسائل الإنتاج، التعريف التقليدي لها هي أن الدولة تمتلك وسائل الإنتاج، الاشتراكية الحالية الآن؛ الاشتراكية في الدول الليبرالية مثل الدول الإسكندنافية تقول إننا ما نتدخل في السوق، نترك السوق كما هو، لكن إذا رجع التاجر الصناعي هذا فرضنا عليه ضريبة ويفرض عليه ضريبة عالية، لأن الاشتراكية معناها أن الدولة تتكفل بالتعليم بالنقل بالصحة لكن من أين توفرها؟ لو تدخلت في السوق الأداء الحكومي تبين أنه أداء ناقص مهما كان، خلاف القطاع الخاص، القطاع الخاص هدفه الربح ولذلك يكون إنتاجه أكبر وأحسن.

فالدول الاشتراكية التقليدية الآن مثل الدول الإسكندنافية؛ النرويج، السويد، فنلندا، الدنمارك، هذه الدول قالت نترك السوق كما هو سوق حر والدولة ما تتدخل في آليات السوق ولا في تخطيط مسبق للاقتصاد كما كانت تفعله الدولة الشيوعية وقت الاتحاد السوفيتي ومن تبعهم، لكن في نفس الوقت الدولة تسمى دولة رفاه، لابد أن الدولة ترجع وتقدم خدمات، بهذا أُصلحت الرأسمالية لما جاء كنزي في النظرية العامة في الاقتصاد هو الذي أوجد ما يُسمى بالاشتراكية، الاشتراكية الحديثة، بعد ما يسمى بالركود العظيم ١٩٣١ في الولايات المتحدة وفي أوروبا، فأوجدوا الصيغة الاشتراكية المعاصرة الآن، وأنا أحبذ أن أسميها عادة الصيغة الإسكندنافية للاشتراكية التي يراد تعميمها حول العالم، لأنهم هم يقولون أنجح الدول، مثل كندا كذلك عندها كذلك نوع من هذه الاشتراكية، تقول أترك السوق وأترك آليات السوق، لكن إذا رجع التاجر فرضت عليه الضرائب، أخذت من إيكيا مثلا أخذت منها الضريبة؛ أفرض عليه ضريبة عالية، لكن تاركين له السوق، السوق يقوم على منافسة، السوق يقوم على آليات الأسعار، العرض والطلب الدولة ما تتدخل فيها، لكن إذا رجع أخذت عليه ضريبة.

والدولة تسعى بقدر الإمكان إن ما تحد من التجارة الخارجية بفرض الرسوم الجمركية، لكنها تفرض ضرائب عالية، الضرائب العالية هذه الناس يرونها؛ يرونها في الصحة، يرونها في الشوارع، في الطرق، يرونها في التعليم، يرونها في النقل، يرونها في خدمات الدولة في الضمان الاجتماعي



في الرعاية الاجتماعية، فهذا هو معنى الاشتراكية المعاصر، وهي أن الدولة تملك وسائل الإنتاج، لكن الآن الاشتراكية المعاصرة هي أننا نرجع إلى آلية السوق. مثل ما صنعت الصين لأن هذا المبدأ هو الصحيح، النبي –صلى الله عليه وسلم– يقول: "دعوا النَّاسَ يرزُقْ بعضُهم بعضًا"[1]، النبي –صلى الله عليه وسلم– نهى عن تلقي الرُّكبان، ونهى النبي –صلى الله عليه وسلم– عن أن يبيع حاضر لغائب، كل هذا حتى لا يتأثر السوق، ونهت الشريعة عن الاحتكار، ولذلك الجالب هذا يجوز له الاحتكار، الجالب الذي يجلب السلعة، يجوز له أن يحتكر، فهؤلاء يبيعون كيف شاءوا متى شاءوا، على قول الجمهور، أما من يكون في السوق الذي يكون حاضرًا في السوق فهذا ليس له أن يحتكر السلعة متى احتاج الناس إليها، المهم هذا كله لماذا؟ حتى لا يتأثر السوق، فهذا هو الصحيح. ولذلك الشيوعية التي ألغت السوق والتخطيط المركزي للاقتصاد أفضى إلى سقوط هذا النموذج، ما ينجح هذا النموذج، حتى الصين الآن إنما كانت اقتصادًا واعدًا الآن واقتصادًا منافسًا لأنها أرخت للسوق، صار السوق هو الذي يتحكم.

فهذا هو معنى الاشتراكية الحديثة اللي هو socialism، أما هي عند كارل ماركس معناها أن الدولة تتملك وسائل الإنتاج.

المقدم: فيه فلسفات غربية وفيه مذاهب فكرية غربية، فيه موطن ترابط وتباعد بينهم؟

د. حمد: المذاهب سواء كانت غربية أم غير غربية تنبني على الفلسفات، يعني لابد لها من فلسفات تتقدمها، يعني الليبرالية هي مذهب؛ هي مذهب سياسي اقتصادي اجتماعي ثقافي، تسمى مذهبًا تقوم على فلسفة، ما هي الفلسفة التي تقوم عليها؟ تقوم على فلسفة الفردانية، الطبيعانية، المادية.

فإذًا المذهب يقوم على فلسفة، يعني لا يمكن أن إنسانًا يعتقد اعتقادًا إلا وقد تقدمه مبادئ ونظريات جعلته يذهب هذا المذهب دون هذا المذهب. أنا أُقرب لك ذلك بالمذاهب الفقهية مثلا، حتى إن كان المخاطب في الغالب ممن له اهتمام بالشرعية:

مثلا لو جئنا إلى مذهب الإمام أحمد، يسمى مذهب أهل الحديث، له أصول؛ هذه الأصول يمكن إنك تعبر عنها بأنها هي الفلسفة التي حدت به أن يذهب هذا المذهب. فأحمد –رحمه الله– كغيره من الأئمة يقول بالكتاب بالسنة بالإجماع لكنه يقول –رحمه الله– بالحديث الضعيف، يقول بقول الصحابي، يقول –رحمه الله– بقول التابعي على أحد القولين عنه، يقول كذلك بالقياس لجوءً، يرجع –رحمه الله– إلى القياس لجوءً. واختلفت الرواية عنه في الاستحسان، لكن هذه الأصول له جعلت له مذهبًا.

أبو حنيفة –رحمه الله– مثلًا من أصوله أن خبر الآحاد إذا خالف القياس أو خالف قاعدة من قواعد الشرع المتقررة، أو إذا جاء بما تعم به البلوى فإنه –رحمه الله– لا يقبله، يرده، يدفعه، لاعتقاده أن النبي –صلى الله عليه وسلم– ما قاله. هذا أفضى به إلى أن يُوجِد له مذهب، أن يذهب مذهبًا لماذا ما قال بالخيار؟ يقول هذا خبر آحاد والقاعدة في الشرع أن العقد مبني على التنجيس، فإذا كان العقد مبنيا على التنجيس وجاء هذا الخبر ليدل على إثبات الخيار هذا خالف القاعدة المتقررة في الشريعة، فالحديث المخرج في الصحيحين وغيره من حديث مالك عن نافع عن ابن عمر، ومن حديث صالح بن أبي الخليل عن عبد الله بن حارث عن حكيم بن حزام "البَيِّعانِ بالخِيارِ"، وغير هذه الأخبار، هذه يردها، وجه ردها أنها قد خالفت القاعدة الشرعية المتقررة. مثاله كذلك أنه –رحمه الله– يقول إن من أكل أو شرب وهو صائم فإنه لا يتم صومه فإنه يقضيه، مع وجوب الإمساك عليه على أحد القولين عند الحنفية، وجه ذلك عنده أن القاعدة المضطردة في الشريعة أن من فعل الفعل في العبادة ناسيًا فإنه يقضيه لا يُتمه، فلو أنه نسي في صلاته فسها فإنه يقضي ويجبر بسجود السهو، وإذا كان يطوف مثلا فنسي شوطًا فإنه يقضيه، يقول فما بال الصيام إذًا خالف هذا؟ فإذا أكل أو شرب فإنه يلزمه القضاء. وأما الخبر هذا فإنه خبر آحاد فيدفعه، حديث أبي هريرة –رضي الله عنه–، وجاء عن أنس –رضي الله عنه– وجاء كذلك عن عبادة بن الصامت وعن جمع من أصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم–، لكن هذا عنده خبر آحاد، فيدفعه. مثلًا ما كان يقبل صلاة الاستسقاء، يقول إن هذا مما تعم به البلوى، والخبر خبر

[1] صحيح ابن حبان

آحاد، فما كان عنده الاستسقاء، الاستسقاء يكون في صلاة الجمعة ويكون بالدعاء، أما صلاة الاستسقاء فإنه لم يكن –رحمه الله– يقبلها، النكاح بدون ولي، وقس على هذا.

فهذا عنده أصول حملته –رحمه الله– على أن يذهب هذا المذهب، يمكن أن يعبر عنها بأنها فلسفة، فلسفة الاستدلال، جعلته ينحو هذا المذهب.

مثلًا مالك –رحمه الله– عنده عمل أهل المدينة، سد الذرائع يتوسع فيه، وقس على هذا.

الشافعي –رحمه الله– يقول بكتاب سنة إجماع قياس، لكنه مثلا يعني في أحد القولين عنه ما كان يأخذ بقول الصحابي على أحد القولين.

المهم أن هذه يمكن أن يعبر عنها بأنها فلسفات ما يذهب إليه كل إمام بناء على هذه الأصول هي التي تسمى المذاهب.

كذلك المذاهب الفكرية، المذاهب الفكرية هذه تقوم على أصول، الأصول هذه هي الفلسفات، الغرب في جملته حتى يجيب على الأسئلة الفلسفية الكبرى أسئلة الوجود، أسئلة المعرفة، أسئلة الجمال كما يسمونه أسئلة الجمال والأخلاق، الأسئلة الثلاثة اللي هي مواضيع البحث عند الفلاسفة.

المقدم: ما هي الأسئلة الثلاثة؟

د. حمد: أسئلة الوجود ولواحق الوجود؛ يسمونها أنتولوجيا، مباحث الأنتولوجيا؛ الوجود، حقيقة الوجود، لواحق الوجود، الاعتبار في الوجود، وما أشبه ذلك، هذه يسمونها الفلسفة الأولى، فلسفة الوجود ولواحق الوجود، يبتدئون من الصانع، لكن هذا بعقولهم، ملخص مفهوم الفلسفة هو الإجابة على الأسئلة، الفلاسفة موقفهم من الوجود أنه مشكل، غامض، عويص، مثلما يقول الجواهري؛ يقول:

أعيا الفلاسفةَ الأحرارَ جهلُهمُ ... ماذا يخِّبي لهمْ في دَفَّتيهِ غد

المهم أن موقف الفلاسفة من الوجود أن الوجود مشكل، غامض، إن شئت التعبير عنه بهذا، وعليه فإننا نسعى إلى الإجابة عن هذا الغموض، فأول ما يبتدئون بالوجود، اللي يسمى الأنتولوجيا؛ الأسئلة الوجودية، بعض الأحيان يسمون الإنسان يمر بأزمة وجودية، مثلا من أوجدني؟ ما سبب الوجود؟ علة الوجود؟ هل الوجود له غاية وما له غاية؟ وما أشبه ذلك، يسمونها أسئلة وجودية.

ثم بعد ذلك الأسئلة التي يسمونها أسئلة المعرفة، ما المعرفة؟ حدود المعرفة؟ نطاق المعرفة؟ وكان لنا بحمد الله دورة كاملة تتعلق بتأملات في نظرية المعرفة المعاصرة هذه.

ثم بعد ذلك ينتقلون إلى الأخلاق والجمال، فالاتجاهات الفلسفية الغربية تقريبا حتى تجيب على هذه الأسئلة سلكت مسالك متعددة، يعني تقريبا أربع مسالك، خمس مسالك:

فيها الاتجاه اللي يسمى الاتجاه العقلاني، ديكارت من هؤلاء.

فيه الاتجاه اللي يسمى الاتجاه التجريبي، الحسي.

فيه الاتجاه الذي يسمى الاتجاه المثالي مثل كانت يحاول الجمع بينهما.

فيه الاتجاه الذي يسمى الاتجاه الوجودي مثل سارتر.

فيه الاتجاه وهو اتجاه خامس الآن هو اللي يسمى الاتجاه المنطقي مثل سارتر وهؤلاء.

فهذه الاتجاهات الفلسفية سينبني عليها بالضرورة يعني أن أي اتجاه الإنسان سيتبعه في الفلسفة سينشأ عنه مذاهب أو مواقف من هذه المذاهب. هذا هو الفرق بين الفلسفات والمذاهب، أن المذهب ينبني على فلسفة قد تقدمته، ولذلك هذا المذهب إذا كان الإنسان يعتنقه ويناضل عنه وهو الذي يفسر به الحياة والوجود وما أشبه ذلك يسمى أيديولوجية، ولذلك إذا إذا كان الإنسان يعني يركب في هذا المذهب يسمى مؤدلجًا، أُدلج، يكون هذا إنسان مؤدلج، هي أصلها كلمة فرنسية معناها الأفكار، فالتعصب للمذهب هذا إيديولوجيا، ثم إذا كان يعتقده من غير براهين فإن هذا يسمى الدوغمائية؛ هذا الإنسان دوغمائي.



الإنسان لابد له من هذا أصلًا، لا يمكن أن يكون الإنسان خلوًا من اعتقاد يعتقده ينبني عليه مذاهب يذهب إليها في العلميات وفي العمليات، لا يمكن إن الإنسان يكون خلوًا، لكن إما أن ينحيها عن تأمله وعن تفكيره وينشغل بهذه الحياة فإنه يتساءل هذه الأسئلة. ولذلك النبوات تجيب هذه الأسئلة، الأصول التي يريد الفلاسفة أنهم يجيبون عليها. مثل ما تقدم المذاهب الفكرية الغربية قامت على العقلانية وهي تنحية الوحي، وعلى مركزية الإنسان، وعليه فإن الفلاسفة هؤلاء إذا أرادوا الإجابة عن هذه الأسئلة فإنهم لا يتوخونها من النقل لا يتوخونها من السمع من الوحي، وإنما يتوخونها من عقولهم؛ تارة يصيبون وتارة يخطئون، وتارة إذا أصابوا فمقدار ما يصيبونه نذر قليل في جانب ما أخطأوا به، وتارة يصيبونه بعد عناء ومشقة إذا أصابوه وهو في الوحي محسوم، ولذلك من منة الله –تعالى– على عباده أن بعث فيهم رسله، فالله –تعالى– يقول: "لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ" آل عمران:١٦٤، أعظم منة من الله –تعالى– على عباده أن بعث فيهم الأنبياء. ولهذا الإمام أحمد –رحمه الله– يقول: الناس أحوج إلى الوحي منهم إلى الطعام والشراب، قال هم في حاجة للطعام والشراب بعض يومهم، وهم يحتاجون إلى الوحي في كل يوم، كل شيء كل شيء يحتاج فيه الوحي.

المقدم: بحكم تغلغل المذاهب الغربية عندنا وتسرب مفاهيمها، إذا فيه توجيه معين في مثلا كيف إني أكشف التسرب هذا؟ وكيف إني انطلق من الوحي ولا تكون مؤثرة علي هذه الثقافة الدخيلة، هل فيه مذهب معين تنصح بدراسته وتفكيكه لأكثر شيء دخل في ثقافتنا؟

د. حمد: دعنا نبتدئ من حيث ينتهي هذا المجلس، وهو المعرفة؛ معرفة هذه المذاهب ولا نعني بمعرفة المذاهب معرفة أفرادها كل واحد بعينه فإن هذا قد يُترك لمن كان متخصصًا بالفرق والمذاهب وما أشبه ذلك. لكن المقصود أن الإنسان يكون واعيًا بأصولها من أين جاءت هذه المذاهب؟ فالإنسان يُبغض الشيء إذا كان باطلًا بمقدار معرفته به، ولذلك تجد أن الصحابة –رضي الله عنهم– عندهم من بغض الشرك وأهله ما لا يكون عند غيرهم، لأنهم –رضي الله عنهم– كانوا في جلهم من السابقين الأولين؛ كانوا مشركين، ولذلك يقول عمر –رضي الله عنه–: أنا أعلم متى تُنقض عورة الإسلام عروة عروة؟ إذا دخل في الإسلام من لا يعرف الجاهلية. ويقول القائل: عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر يقع فيه. فأول ما يبتدئ الإنسان من أجل أن يتوقى هذه المذاهب أن يعرفها، وهو إذا عرفها من أصولها فان حكمه عليها يكون فرع على تصوره لها.

كثير من الناس الآن قد تقول له مثلا الليبرالية في حقيقتها تؤول إلى الكفر، بالدليل والبرهان إذا أحكمت تصوره، الكفر يعني بناء على النصوص لكن لا تجد عنده هذا الانكماش منها، ويقول لي المشترك الإنساني والحرية مشترك إنساني مثل ما يفعله بعض الإسلاميين، يُقال الليبرالية الإسلامية، الاشتراكية الإسلامية، الديموقراطية الإسلامية، هذا سببه أنه ما أحكم تصوراتها، هو لا يعرف حقيقتها، لا يعرف كُنها، ولذلك تجد أن المتكلمين لما ما أحكموا توحيد الإلهية ما هو؛ صارت القبور يمنة ويسرة، والاستغاثة بغير الله، وذبح لغير الله يمنة ويسرة وهذا عندهم ليس بكبير شيء. وجهه أنه ما ناقض عندهم التوحيد الذي أصلوه.

المقدم: وإن كان مثلًا الليبرالية أنه ليس كل معتنقها يعتبر كافر.

د. حمد: لا لا لا، أبدًا قد يقول الإنسان القول الكفر ولا يكون كافرًا هذا بإجماع أهل السنة.

المقدم: للتوضيح بس لإن قد ينصرف الذهن لذلك.

د. حمد: لا لا أبدًا، الإنسان قد يقول القول الكفر ويعتقد الاعتقاد الكفر ولا يكون كافرًا بإجماع أهل السنة، قد يكون مخطئًا قد يكون متأولًا قد يكون مكرهًا. بل قال الحواريون الذين أمر الله –تعالى– بالاقتداء بهم قال –تعالى–: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ" كونوا مثلهم يعني في مثل مقالتهم التي قالوها، "قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ" الصف:١٤، هؤلاء الحواريون قالوا لموسى هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء؟ ومع ذلك فإنهم معذورون ولم يُكَفَّروا بهذه المقالة.



هذا الرجل في الصحيح رضي الله عنه قال لأولاده: "إذا أنا متُّ فأَحْرِقوني ثم اسحَقُوني ثم ذروني في الريحِ في البحرِ فوالله لئن قدر عليَّ ربي ليُعذِّبنِّي عذابًا ما عذَّبَه أحدًا قال ففعلوا به ذلك فقال للأرضِ أدِّي ما أخذتِ فإذا هو قائمٌ فقال له ما حملَك على ما صنعتَ قال خشيتَك أو مخافتَك يا ربِّ فغفرَ له". لذلك مع أنه إذا تأملت أنكر قدرة الله، ينكرها، وأنكر البعث ما أنكره جملة وإنما أنكر جزأه، وأنكر علم الله ومع ذلك فإنه ما يكفر لأنه متأول.

وذاك الذي قال لما وجد دابته في الصحيحين وغيرهما لما وجد دابته قال: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: أخطأ من شدة الفرح. وقالوا: اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة، وقالوا اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فليس قولنا عن شيء بأنه كفر يجعل الإنسان كافرًا. قد يقول القول وقد يعتقد الاعتقاد ولا يكون كافرًا بإجماع أهل السنة، لا يختلف أهل السنة في هذا.

المهم أن الإنسان إذا أحكم تصورات هذه المذاهب معرفة هذه المذاهب يجعله في منافرةٍ منها، يجد في نفسه انكماشًا منها، بغضًا لها لأنها منافرة لما يعتقده، والعادة أن الإنسان كلما استحكم اعتقاده لشيء صار ما يقابله عنده مجافيًا له مناكفًا له مباعدًا عنه.

ولذلك الله –تعالى– يقول: "شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ" الأنفال:١٣، يعني الله ورسوله في شق وهؤلاء في شق، وذلك لوجود المنافرة بين هذا وبين هذا. فإذًا معرفة الإنسان بهذه المذاهب وتحقيقه لها ومعرفة أصل نشأتها وإحكامه اللي هي الأفكار التي تقوم عليها هذا يفضي به إلى مناكفتها، لا سيما إذا كان متضلعًا بالوحيين ومهتديًا بهديهما.

الثاني أن هذه المذاهب إنما هي نتاج بشري، أثرٌ لظرف تاريخي وبيئي وجغرافي أدى إلى وجودها، فهي مهما بلغت –إذا كان هو يعتقد بالوحي– مهما بلغت في أبهتها ورونقها وزخرفها فإنها مهما بلغت فإن الإنسان يقول هذه منتج بشري. يعني حتى مثلا راسل في كتابه حكمة الغرب يقول إن القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين هذه بلغت بالإنسان ذروته أنه يمكن أن يتحكم بجميع أجزاء الطبيعة، السرديات الكبرى هذه ما صارت معتبرة، يعني مثلا كان الدين يُشرح بالعالمانية، أن الدين يشرح العالمانية والعالمانية تشرح الدين، ونتقبل شرح الدين للعالمانية والعالمية للدين لأن ما في حقائق مطلقة، السرديات الكبرى صارت تتلاشي. هذا ما يعبر عنه بما بعد الحداثة؛ الحقائق نسبية، والحقائق نسبية ليست عند الناظر بل في الوجود، الوجود نسبي. ما بعد الحداثة تقول إن الوجود نسبي، يعني مثل ما يقول باشلار مثلًا، تأملت الفرق؟

نحن عندنا أن إدراك الحقائق نسبي عند الناظر؛ الآن أنت إدراكك للخارجي ليس كإدراكي له، إدراكنا متفاوت، بل مثل ما يقول ابن تيمية –رحمه الله–: تفاوت الناس في عقولهم وفي مقدار إدراكهم أعظم من تفاوتهم في أبدانهم. فهذا أمر ظاهر أن النسبية عند الناظر، الجمل يدرك الواقع، ونحن ندرك الواقع، الذباب يدرك الواقع يراه مثلا، لكن هل إدراكه للواقع كإدراكي للواقع؟ لا، اختلف. مع أن الواقع اللي في الخارج واحد، وليس متعددًا، لكن باعتبار الناظر باعتبارنا نحن. فكما أن الجنس والجنس يتفاوت إدراكه، فكذلك أفراد النوع في كل جنس يتفاوت إدراكه للواقع، لكن ما بعد الحداثة كما يقول باشلار ومثل هؤلاء: الوجود نفسه نسبي.

المقدم: وهذا ما هو عندنا الوجود عندنا فيه قدر منه مشترك إنه حقيقة مئة في المئة.

د. حمد: لا كله، هو الوجود ثابت والحقائق ثابتة، الحقيقة معناها ثبوت الأمر المُتَعقَل. هو أول ما نبتدئ نحن بما يسمى بالماهية؛ الماهية هي الأمر المُتَعقَل، ثبوتها في الخارج يسمى حقيقةً. الحقيقة هذه ثابتة أدركها الناظر أم لم يدركها، لكن إدراك الناظر لها يكون نسبيًا.

المقدم: أنا استغرب كيف مثل هذه الحقيقة خلوها نسبية؟!

د. حمد: أنت لك أن تتصور أن الغرب دخل في حربين عالميتين، وكان يتصور أنه قد بلغ الذروة في التحكم بالطبيعة فإذا بهاتين الحربين العالميتين أن هذه الأفكار التي ظُنَّت أنها المنتج البشري الذي ليس بعده منتج؛ هذا المنتج يفضي إلى النازية، لأن النازيين وصلوا إلى الحكم بما يزيد على ثمانين بالمئة من اختيار الشعب، يعني الديموقراطية أوصلت النازيين، فصارت الديموقراطية مستجوبةً.

عندنا الموسولينية الفاشية، عندنا الشيوعية، فالغرب صار يستجوب مثل هذه المفاهيم، فوجد ما يسمى ما بعد الحداثة بعد الحرب العالمية الثانية، هي النسبية وجدت مع مثل نيتشا قبل ومع فرويد كذلك، لكن أنا أقول إن النسبية هذه الفلسفة الفرنسية هي التي أدت إليها، يعني



فوكو، ميشيل بدو هؤلاء لهم تأثيرهم بالغ فيما يسمى بما بعد الحداثة. ثم جاء هيبرمس وإن كان هيبرمس قارئًا للحالة، هو ليس منتجا لها هو يقرأ ويقول نحن فيما بعد الحداثة.

المهم –بارك الله فيك– أننا نقول إن المنتج البشري هذا مهما بلغ؛ مهما بلغ في أبهته وعنفوانه ورونقه وتزويقه فإنه يؤول إلى أن يكون بشرًا وقد أجمع الناس كما دل على ذلك فطرهم وعقولهم وهو كذلك ما تضافرت عليه النصوص أن الإنسان مهما كان فإنه ناقص، مهما كان فإنه سيكون ناقصًا، مهما بلغ، ولذلك قالوا إن الكمال في الإنسان هو أن يسعى إلى الكمال، هذا هو الكمال فيه، أما أن يكون كاملًا فإنه لن يكون كاملًا. ولهذا يقول أبو تمام: ولم أرَ في عيوب الناس عيبًا ... كنقص القادرين على التمام. فهذا هو العيب فيهم، أنهم يطلبون التمام ولا تمام وهذا هو التمام فيهم، هذا هو الكمال.

فإذًا الإنسان مهما كان فإنه –سواء كان فردًا أم كان مجموعةً– فإنه يكون ناقصًا. هذا يُفضي بك إذًا أن تتحرز من هذا المنتج، مثل ما إنك إذا اشتريت الجوال الذي هو المنتج الإنساني فإنك مهما كان لا يمكن أن تزعم أنه منتج كامل، مهما كان فإنك لن تزعم أنه منتج كامل، فأنت تنظر إلى الكتالوج وتأخذ التحذيرات (المانيوال) تأخذ التحذيرات وانتبه لا يصيبه كذا، وله استعمال في كذا من دون الاستعمال في موضع آخر وهكذا، فهذا ينبغي أن يكون موقفنا من هذا المنتج الحداثي، وما بعد الحداثي، يكون من أننا نستقبله على أنه منتج إنساني، وليس كونه قد قدم من الغرب الذي بلغ ما بلغ من التقدم التقني والعلمي أن يكون الأفكار التي تحمل هذه المنتجات كذلك، يعني الصين تنتج منتجات تقنية علمية ولا ترجع إلى نفس الأفكار التي تكون أفكارًا غربية مثلا. فنحن إذًا مثلما أن الغرب انتقى منا نحن علينا أن ننتقي من الغرب، أنا ما أقول إن ما نقبل من الغرب، لا، فيه شيء هو منتج غربي لا نزاع في هذا سواء كان ماديا أم كان فكريًا هو منتجٌ غربي، يعني مثلا المنتج الفكري الغربي الإداري يمكن أن يُنْتَفَع منه جدًا بل أنا أقول أن الغرب قطع أشواطًا متقدمة جدًا في علم الإدارة، بل أنا أقول إن سبب التقدم الغربي العلمي والتقني والعسكري – مثل ما يقول نايل فرجسون مثل ما تقدم الغرب والبقية– هو إتقانه لعلم الإدارة، الغرب الآن يقطع أشواطًا كبيرة في علم الإدارة، وهذا له أسبابه، والموضع ليس موضع بسطي هنا، لكن المهم أن المنتج الغربي نحن ما عندنا مشكلة أن نأخذ من الشرق ولا من الغرب المنتج، لكننا نحرره نحن، هذا واحد.

الشيء الثاني ألا نكون مستهلكين له، بل ينبغي أن نكون منتجين له، كما كانت الحضارة الإسلامية في أوجها، كانت تأخذ من الغرب؛ بل أخذت من الأكاديين ومن البابليين، ومن الهنود ومن اليونان، ومن بقايا الرومان، وبنت عليه وطورت ومشت من المصريين، فنحن مشكلتنا أننا نأخذ من الغرب ما هب ودب في الغالب ونأخذه مستهلكين لا محللين منتجين، ولذلك نحن ما ننتج المعارف، يعني مثل ما أننا في الغالب ما ننتج المنتجات المادية: السيارة، الطائرة، التلسكوب، الجوال، كذلك نحن لا ننتج الأفكار في الغالب، وهذا له مرد يعني المنظومة التعليمية المنظومة الفكرية أصلًا نفسها التي توجد عندنا ليست منظومة مشجعة على إنتاج المعارف، نحن ما ننتج المعارف يعني مثلا من النقد الذي يوجه إلى الجامعات الشرعية وغير الجامعات الشرعية، مثلا في المذاهب الفكرية المعاصرة لو أردنا أن نتكلم عن مذهب فكري معاصر مثلا تجد أن الغالب على الطرح عندنا مثلا رسائل دكتوراة أو رسائل الماجستير تكون الرسائل: التعريف بها، نشأتها، أهم رموزها، أهم مصادرها، تاريخ نشرها، اللي هو الآن مثل ما يقولون جوجل يوفرها. هذه ليست معرفتك، فيعوزها التحليل وإنتاج المعارف؛ النظريات الشارحة. نحن الآن ما ننتج هذا.

قد تقرأ أنت الآن كتابًا كاملًا في العلوم السياسية في الاقتصاد في الإدارة، دع عنك العلوم التطبيقية مثل الفيزياء، الكيمياء، الجيولوجيا، الأحياء، ما يمر عليك عالم عربي أو حتى عالم مسلم، حتى عندنا نحن بعض الناس يقول لأنهم ما يعترفون بنا، طيب نحن لا نحتاج أن نعترف بهم لماذا لا ننتج معرفتنا نحن؟ هذا الموقف من المنتج الغربي يجب أننا نقبل المنتج الغربي والمنتج الشرقي والمنتج الروسي والمنتج الجنوب إفريقي والمنتج الأمريكي اللاتيني، علينا أن نقبله؛ علينا أننا إذا استقبلناه أن نستقبله استقبال الفارز الممحص الحاكم، ثم نحن نقبل منه ما نريد؛ انتقائيون، وإذا قبلناه فأن نقبله على جهة تطويره وإنتاجه.



النبي –صلى الله عليه وسلم– قبل الخاتم من الرومان، لا يقبلون الرسائل إلا أن تكون مختومة، فلبس الخاتم –عليه الصلاة والسلام–، وهذا كان أصوب الأقوال الثلاثة أن لبس الخاتم إنما يكون لحاجة؛ من كان محتاجًا له فإنه يلبسه، فهو سنة لمن احتاج إليه. وقال بعض العلماء أنه سنة مطلقًا وقال بعضهم أنه ليس سنة مطلقًا، وقال بعضهم أن الخاتم مرده للعرف، إن كان عرف الناس أنهم يلبسون الخاتم يلبس؛ كالعمامة، وإن كان عرفهم أنهم لا يلبسون الخاتم فإنه لا يلبسه. وأصوب الأقوال إنه يلبسه إذا كان محتاجا له. النبي –صلى الله عليه وسلم– إنما اتخذه لما كان محتاجًا إليه. وابن رجب –رحمه الله– له رسالة في هذا وهي رسالة في الخواتيم، هي من أحسن ما صنف في هذا وقد جمع فيها شيئًا كثيرًا حديثيًا وفقهيًا ما يتعلق بالخواتيم. المهم النبي –صلى الله عليه وسلم– قبل الخاتم.

قبل النبي –صلى الله عليه وسلم– الخندق، الخندق هذا من أين قبله؟ من الفرس، النبي –صلى الله عليه وسلم– قبله.

المنبر يقولون قبله من الحبشة، العرب ما كان لهم عادة أنهم يصعدون على المنابر، هنا قَبِل المنبر من الحبشة، وقال النبي –صلى الله عليه وسلم–: كنت نهيتكم عن الغيلة، فرأيت فارس الروم يغيلون ولا يضرهم ذلك، –الغيلة يعني وطء المرضع–. كان نهى عن هذا ثم أذن به لما رأى فارس والروم يفعلون هذا ولا يضيرهم.

فإذًا نحن نأخذ على جهة التمحيص، ثم إذا أخذنا على جهة التمحيص –وهذا نمحصه بالوحي– لكن ما يقولون أن نرده إلى ثقافاتنا والعادات لا، أن نمحصه بالوحي، أن نضبطه بالوحي بفهم سلف الأمة، إذا كان كذلك فهذا يُنتج عندنا معارف، نكون انتقائيين فارزين في الاستقبال وينشأ عن هذا أننا كذلك ننتج هذه المعارف، نبنيها، لا نستهلكها.

الآن نستهلك الجوال، نستهلك السيارة، نستهلك اللاقط هذا، ونستهلك الطاولة، لا ينبغي لنا أن نستهلك بالقدر الذي ننتج فيه، كما أننا لا ينبغي لنا ألا نستهلك الجوال واللاقط وما أشبه هذا إلا وقد أنتجنا بقدره؛ فكذلك ينبغي لنا أن نكون بقدر استقبالنا لهذه الأفكار وفرزنا لها وانتقائيتنا لما يصلح منها مما لا يصلح بناءً على الوحي أن نكون كذلك منتجين، فنحن من ينتج المعارف.

ولذلك إذا جاء الغرب قال لنا لماذا المرأة عندكم لا تفعل كذا وكذا مثلا؟ قل لهم وليه تفعل كذا؟ ما برهانك على أن تفعل كذا وكذا؟ فنرد النزاع معه إلى الأصول إلى فلسفات، فيكون النزاع في الفلسفة الكبرى في الفلسفة الأولى، هكذا يكون النقاش مثمرًا. فنحن الأعلى فلسفيًا –إن جاز التعبير في هذا السياق– نحن الأعلى فكريًا، الأعلى عقائديًا، نحن الأعلى، نحن نزعم هذا، وحينئذٍ فهذه الدعوة لابد أن يُطالب لها البرهان، فكان المناط حينئذٍ في البرهان ليست بالدعاوي.

فهذا الذي أريد؛ أن هذه الأفكار وهذه المذاهب ينبغي أن تُعلَم حقائقها لا سيما أن تُعلَم من مصادرها لا كما تُنْقَل، وإنما أن نرجع إلى مصادرها، يعني مثلا إذا أردت أن تقرأ في الليبرالية تكلمنا عن الليبرالية فلابد أن ترجع إلى ماذا؟ فلاسفة الليبرالية، أن تقرأ لهوبز، لوك، سبينوزا، أن تقرأ لفولتير مونتسكيو، أن تقرأ لهؤلاء، هؤلاء هم منظرو الليبراليين، هم مؤسسو الليبرالية. لجيريمي بنتام مثلًا في الفلسفة الليبرالية الأخلاقية، جون ستيوارت ميل، أن تقرأ لهؤلاء، هؤلاء هم الذين نحاكم أفكار الليبرالية إليهم، يعني إذا جاء إنسان قال أنا الليبرالية بالنسبة إلي؛ قلنا ما يهمنا نحن هذا بالنسبة إليك، بالنسبة إليك لك، هذا مثل ما تقول أنا أحب عصير الكوكتيل وهذا يقول لا أنا أحب عصير البرتقال مثلا؛ هذا بالنسبة إليك، لكن نحن يهمنا ما هي الليبرالية التي قررت أن تنتسب إليها؟ مثله أن إنسان قال الإسلام بالنسبة إلي؛ لا، أو يقول التشيع بالنسبة إلي؛ لا، الشيعة مذهب قام له أصوله وله كتبه فنحن نحاكمك إليها، إما أن تقول أنا أوافق هذه فتكون شيعيًا، وإما تقول أنا لا أوافقها فيكون لك مذهبك، مثلا أنت اسمك صالح، نقول هذا المذهب الصالحي، لكنه لا يكون هو المذهب الشيعي أو الرافضي أو الأشعري وما أشبه ذلك، فكذلك إذا أراد الإنسان أن يحكم على الليبرالية أن يفهمها وأن يحكم على من ينتسب إليها، فإنه لا بد له أن يُحْكِم معرفتها.

ولذلك معرفة هذه المذاهب من أصولها هو أحد شرطي الكلام في الأفراد والمذاهب والملل والنحل والفرق والتوجهات والأفكار والمذاهب.



الشرط الأول هو العلم؛ والعلم معناه أن تعلم الحق الذي معك، وأن تعلم الحق الذي فيها كما تعلم الباطل الذي فيها، فلابد أن يكون الإنسان عالما بما يتكلم به، لابد.

ثم الثاني أن يكون عادلًا، العدل مثل ما يقول الدار قطني –رحمه الله–: أهل الحديث يقولون ما لهم وما عليهم، ولذلك تقدم لنا نحن في الليبرالية لا نرضى أن يُنسب إليها ما ليس منها، كما أننا لا نرضى أن يُنفى عنها ما هو فيها، ولذلك فإن الإنسان يكون عادلًا من الجانبين، من جهة ما ينفى عن المذهب ومن جهة ما يثبت للمذهب.

يعني إذا كان ما ينفى عن المذهب أو الفكرة أو الملة أو النحلة أو الفرض أو الجماعة أو الحزب وما أشبه ذلك، إذا كان ما يُنْفى عنه وهو فيه فالعدل أن يقال هو فيه، فلا يُقْبل النفي، كذلك إذا كان ما يُثْبَت له وهو ليس فيه فمن العدل حينئذٍ أن يكون منفيًا، فهذا هو العدل الذي أمرنا الله –تعالى– به، ولهذا صار من عبارة المفكرين الإسلاميين يقول: إن العدل في الإسلام قيمة مطلقة وهذا حق، يعني الذي يعبر عنه الفقهاء وعلماء الاعتقاد يقولون: إن العدل قطع، إن العدل قطع، فالواجب علينا أن نعدل مع كل أحد، نحن نقبل الحق من كل أحد.

الله –تعالى– يقول في حق بلقيس يوم كانت كافرة على أحد القولين، قالت هي: "إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً"، قال –تعالى– على أحد القولين: "وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ" النمل:٣٤، فهذا فيه تقرير لقولها.

وقال الله –تعالى–: "وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا"، قال الله –تعالى–: "قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ" الأعراف:٢٨، وأقرهم على قولهم "وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا" لأنه حق، لكن قولهم "وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا" ما قَبِلَه فنفاه.

النبي –صلى الله عليه وسلم– قال في الشيطان: "قدْ صَدَقَكَ، وهو كَذُوبٌ"[٢]، ولما جاء أحبار اليهود قالوا يا محمد إنا نجد في التوراة إن الله يضع السماوات على إصبع والأراضين على إصبع والجبال على إصبع والثرى على إصبع والماء على إصبع قال عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه–: فضحك النبي –صلى الله عليه وسلم– تصديقًا لقول الحبر. فما قال النبي –صلى الله عليه وسلم– هذا يهودي لا ما نقبل منه.

فنحن نقبل الحق، فنحن ليست المشكلة عندنا في المذهب نفسه وإنما نحن أمة فارزة أمة منتقية وإذا انتقت فإنها تعدل، فتقول: هذا فيه هذا الحق، وهذا فيه هذا الباطل. ثم ما كان فيه من باطل منسوب إليه وهو حق نفته عنه، وما أُثبِت عليه من الباطل وهو ليس حقًا فإنها تنفيه عنه، وهكذا. فهذا هو الذي ينبغي للإنسان أن يكون منصفًا وحينئذٍ فإنه يتكلم عليه بعلم وعدل.

هذا يفضي إلى أن يكون أصحاب هذه المذاهب إذا رأوا الإنسان يتكلم بعلم وعدل أصغوا إليك، وعلموا أن المخاطب يعلم هذا الذي هم عليه بل قد يعلمه أكثر مما يعلمونه هم.

والثاني أنهم يعلمون أنه منصفٌ معهم، فيثبت الحق الذي لهم كما أنه ينفي الباطل الذي يثبت عليهم، فإنهم حينئذٍ يقبلون منه.

الآن كثير من المذاهب والفرق والملل، قد لا تقبل من أهل الحق حقهم، وجهه؟ أنهم يرون أنهم يظلمونهم؛ أنهم يبغون عليهم، وهذا يوجد، ولهذا ابن تيمية –رحمه الله– يقول: ووجدت عامة ما يقع من الاختلاف بين الفرق سببه البغي، والقول هذا تتبعته فوجدته كذلك، حتى إنه قال: هذا مما يقع من الجهمية على المعتزلة ومن المعتزلة على الجهمية، ومن الأشاعرة على المعتزلة ومن المعتزلة على الأشاعرة، من الأشاعرة على الكرامية من الكرامية على الأشاعرة، قال: وما يقع من بعض المتسننة بعضهم على بعض أو أن يوجد من بعض المتسننة على غيرهم من الفرق.

فإذا البغي هذا هو سبب الافتراق والاختلاف، لا يحصل قبول الحق بسبب أننا نبغي؛ يشعر المخاطب المخالف أنك تبغي عليه، فتنسب إليه من الباطل ما لا يقول به، أو أنك تنفي عنه من الحق ما يقول به. فيجب علينا حينئذٍ أن نكون منصفين لأن هذا من ثمراته أن يكون المخالف قابل للحق الذي معنا. دمتم بحفظ الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

[٢] صحيح البخاري


